معالم الدعوة والقيادة

في شخصية ذي القَرْنَيْنِ رضي الله عنه

من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

{دراسة تأصيلية}

إعداد الدكتور

مخلوف محمد محمد جلاجل

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

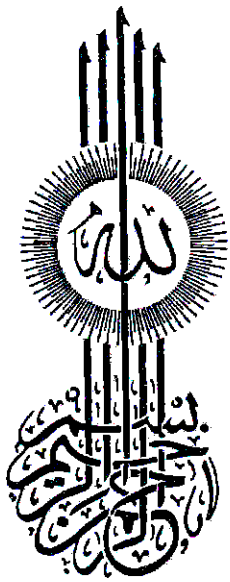

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

[سورة الحج: آية٤١]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة فصلت: آية٣٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

.. وبعـــد ..

فإن ذا القرنين ﷺ عبد صالح ، صنعه الله تعالى على عينه ، فكان شخصية جامعة بين الدعوة والقيادة ، أي داعياً إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وحاكماً بالإسلام في زمانه.

وكان لدعوته ﷺ صدى طيب، وقبول سريع عند الناس، لأنه كان يملك السلطة التنفيذية في تطبيق الشريعة الإسلامية، وفي طليعتها الحدود، فمن لم يستجب منهم لدعوته بالترغيب ، والإقناع ، استجاب لها خوفاً من السيف والسنان .

ومما ساعد على ذيوع دعوته، ونشرها على أرض البسيطة: أنه ﷺ كان محبوباً لدى رعيته، لأنه ما فتح البلاد على أهلها غازياً أو متجبراً، بل فتحها لتطهيرها من الكفر والشرك، والجهل والطغيان، والظلم والجور، وتعميرها بالتوحيد، ونور العلم، والرحمة والعدل ..

فكان بحق جديراً أن يذكره الله تعالى في قرآنه مثلاً يُحتذى ، يَقتدي به الرؤساءُ والحكام في تطويع ملكهم ، وتوظيفه في الدعوة إلى الإسلام ، وشيوع العدل ، والقضاء على الفساد

والمفسدين ، تحقيقاً لقوله جل شأنه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١)، وقوله تبارك اسمه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وهذا البحث تناول موضوعاً ذا شقين :

شق دعوي: ضمنته دعوة ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب ، وأهل المطلع (أهل المشرق)، وأهل الشمال ، وما قامت عليه من علم وبصيرة وهدى ، وأساليب سلكها في دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة ، وأداء التكاليف الشرعية ، كما تضمن ما أثمرته تلك الدعوة من استجابتهم له .

شق قيادي: واشتمل على بيان القيادة الحكيمة التي تمتع بها ذو القرنين ﷺ ، ومدى آثارها في إرساء مبادئ العدل ، وقيم الرحمة والسماحة والفضل بين رعيته ، وما تولد عن هذه القيم من إذعان رعيته له عن طواعية ورغبة وحب فيما وجههم إليه من أوامر ونواهٍ ووصايا وهو في موطن السلطان والقوة.

كل ذلك في إطار ما جاء في القرآن الكريم ، وما أتيح لي من السنة النبوية الغراء شرحاً وبياناً يتواءم مع الطبيعة الدعوية والثقافية للبحث .

هذا : وانطلاقاً من ربط الأصالة بالمعاصرة ، فقد ذيلت البحث بمبحث تضمن مدى ما يمكن أن نستفيده من عظات وعبر من قصة ذلك العبد الصالح ، والداعية العالم الحكيم ، والملك العادل ذي القرنين ﷺ في عصرنا الحاضر دعوة وقيادة ، عملاً بقول الحق جل شأنه

---

(١) سورة الحج : ٤١ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

والله تعالى الموفق والمعين ...

الفقير إلى ربه ومولاه

مخلوف محمد محمد جلاجل

(١) سورة يوسف : ١١١ .

أهمية الموضوع :

ترتكز أهمية الموضوع على أمور أربعة :

الأمر الأول : ثراء قصة ذي القرنين ﷺ بجوانب دعوية حَرِيّة بالدراسة .

الأمر الثاني : تمتعُ صاحب الشخصية بالصلاح والتقوى والعدالة مع كونه ملكاً وقائداً له من السلطة النافذة ما ليس لغيره في زمانه ، بما جعله أهلاً لِأنْ يذكره الله تعالى ، ويُخلِّدَ ذكره في كتابه الخالد القرآن الكريم إلى يوم القيامة .

الأمر الثالث : تسخير صاحب الشخصية ما آتاه الله تعالى من علم ومُلك وحكمة في خدمة الدعوة إلى دين الله تعالى بما احتواه من عقائد وشرائع وأخلاق .

الأمر الرابع : شخص كهذا جدير بأن يحظى باهتمام بالغ يليق بشأنه ، بأن يقتدي به الدعاة ، والقادة ، ويُعْتَزُّ بسيرته والسَّيْر على نهجه .

مما جعلني أسعى لإبراز معالم شخصية ذي القرنين ﷺ الداعية الحكيم، والملك العادل دعوياً ، وقيادياً في بحث مستقل ، مع التأصيل لها بنصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والفهم السوي لها ، والاستشهاد بقول الأئمة الثقات ، مما يُضْـفِي على ذلك البحث ثقة واطمئناناً لدى القارئ والمستمع ، ويلفت أنظار الدعاة والقادة إلى صاحب هذه الشخصية العظيمة رضي الله عنه وأرضاه .

أسباب اختيار الموضوع :

إن أهم الأسباب وراء اختياري هذا الموضوعَ للدراسة والبحث هو :

١ – أن الله تعالى ذكر ذلك العبد الصالح " ذا القرنين " في قرآنه في مقام الرضا عنه، والثناء عليه تشريفاً وتكريماً ، فكان ذلك ملفتاً لي حقاً ، وباعثاً لأنْ أفرده ببحث مستقل ، أسجل فيه ما أستلهمه من قصته ، لاسيما تلك المعالم الدعوية والقيادية والعظات والعبر التي يفتقر إليها دعاتنا وقادتنا في العصر الحاضر معرفةً وتطبيقاً .

٢ – ندرة الكتابة المنهجية والموضوعية عن ذلك الولي الصالح ، والملك العادل ، إذ أغلب الدراسات التي تناولت تلك الشخصية العظيمة منها ما ينصرف عن الهدف من سوق قصته في القرآن ، وتلجأ إلى لَيّ نصوصه بغية إيجاد مسوغات ومبررات تحدد اسمه ، وزمانه ، ومكانه ، مع أنها أمور أهمل ذكرَها القرآنُ ، لهامشيتها ، ، وعدم أهميتها ، مثل كتاب : " ذو القرنين . ذلك الملك الصالح الطواف من يكون ؟ "[1] ، مع احترامي الكبير لصاحبه .

ومنها ما تتناوله كنموذج ضمن نماذج عديدة للعدل في الحكم ، أو حسن التخطيط أو البناء والتعمير بما لا يتجاوز ورقة أو عدة وريقات ، فكان بحثي هذا بجهد المُقِلّ محاولة متواضعة مني للإسهام في عرض هذه الشخصية دعوياً، وقيادياً ، وحضارياً ، متخذاً نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية ضابطاً لي في إخراجها على نحو ما هو منثور عبر دفّات البحث .

الدراسات السابقة :

بناء على ما سبق أقول : لعل هذا الموضوع جديد في بابه ، حيث لم أعثر على بحث أو كتاب أفرده بدراسة مستقلة ، اللهم إلا كلمات متفرقة أو مبثوثة في ثنايا السطور ، وسيأتي – إن شاء الله تعالى – ذكر لهذه الكتب في هامش البحث حال استشهادي أو استئناسي بها

---

(١) وهو للأستاذ/ عبد الرحمن يوسف العبد . ط : القاهرة – دار البشير (بدون تاريخ) .

، ومنها كتاب : العمل العمراني في الكتاب والسنة(١)، وكتاب " الدعاة والتخطيط "(٢)، وغيرهما، مع بالغ تقديري لصاحبي الكتابين وغيرهما ممن ساروا على هذا النهج .

صعوبة البحث :

لقد وجدت صعوبة في دراسة هذا الموضوع والكتابة عنه لسببين :

الأول : ندرة الكتابة عنه في المجال القيادي ، والمجال الدعوي خاصة .

الثاني: الحرص على صياغته بمنهج دعوي بعيداً عن طرق ومناهج السادة المفسرين ﷺ، اللهم إلا إذا اقتضى الأمر ذلك، كتبيان معاني بعض الكلمات، أو أن يكون للآية وجهان في معناها، فأذكرهما لأبني على كل وجه قضية دعوية مدعومة بالأدلة، كقوله تعالى عن ذي القرنين ﷺ مع أهل المطلع (المشرق) في الآية الكريمة ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾(٣)

ومما جعلني أخوض غمار هذا البحث متحملاً صعوبته أمران :

الأول : حبي لصاحب هذه الشخصية التي اهتم بها القرآن ، ولم تحظ بالاهتمام الكافي في الدراسات الدعوية عَبْرَ بحوث مستقلة .

الثاني : يقيني في عون الله تعالى إياي ، وقد قيل :

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده(٤)

---

(١) وهو للأستاذ الدكتور : محمد أبو زيد الفقي .

(٢) وهو من تصنيف الشيخ : محمد عبد الله الخطيب .

(٣) سورة الكهف : الآية ٩١ .

(٤) لم أقف على قائله .

منهج البحث :

لقد سلكتُ فى هذا البحث عدداً من المناهج :

١ – المنهج الاسترادادي : "النقلي، والتاريخي أو الوثائقي" : ويعنى استرداد أو استرجاع نصوص من الماضي ، ونقلها لتحقيق هدف معين منها فى الحاضر .

وقد عُرِّف بأنه: [المنهج الذى يعتمد على الوثائق ونقدها، وتحديد الحقائق التاريخية وتحليلها إلى عناصرها ، ثم محاولة تركيبها مرة ثانية وتفسيرها ، من أجل فهم الماضي، ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث، والتطورات الماضية] (١).

وهذا المنهج بمفهومه وإن كان ينطبق على الأحداث التاريخية للبشر ، فلا ينطبق على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلا من جهة واحدة هي : تحليل نصوصهما بتعميق الفهم لها ، وتدبر الفكر حيال مقاصدها ، لإبراز محاسنها ، ووجوه الإعجاز فيها ...

أما أن تُعاد صياغتها، وتركيبها من جديد، فهذا محال، لأنها نصوص قديمة جديدة، صدرت عن الوحي الإلهي المعصوم عن النبي المعصوم ﷺ،وتناقلها الثقات جيلاً بعد جيل، وأهم خصائصها: الجدّة دائماً، وكمال الفاعلية لكل العصور، والصبغة الإلهية المعصومة التي لا تقبل النقد.

ويقوم هذا المنهج على العناصر العامة التالية :

– توثيق إسناد النص إلى قائله ، والتأكد من صحة صدوره عنه .

– التحقيق من سلامة النص من التحريف بالزَّيْد أو النقص، وأنه كما قاله قائله.

---

(١) البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية) : أ . د / سعد الدين صالح . صـ ٤٤ . ط ٢ : جدة – مكتبة الصحابة . ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .

ومجال استخدام هذا المنهج هو : كل معرفة مصدرها النقل[١] ، ونصوصُ القرآن الكريم بلغت في هذا المضمار الكمال المطلق سنداً ومتناً ، ونصوص السنة النبوية الثابتة عن سيدنا رسول الله ﷺ منها ما بلغ درجة الصحيح ، ومنها ما بلغ درجة الحسن .

٢- المنهج الاستقرائي: [هو تتبُّع قضايا جزئية للوصول منها إلى قضية عامة كلية[٢]]

٣- المنهج الاستدلالي: [وهو الذى نسير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى تجربة[٣]] .

وأقول-من خلال تجربتي البحثية-:هو منهج يبحث فى إنشاء الأدلة-نقلية كانت أو عقلية-،وكيفية توظيفها فى معرض الإثبات أو النفي، للقضية محل البحث، عبر مقدمات ونتائج.

٤-المنهج الوصفي:[وهو الذى يصف الفكرة ،أو الظاهرة ، ويُفسر واقعها[٤]] .

٥- المنهج الاستنباطي : [وهو : انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هى المقدمات إلى قضية أخرى هي النتيجة وفق قواعد المنطق .

---

(١) أصول البحث : أ د / عبد الهادي الفضلى صـ ٥٢ ، ٥٣ . باختصار . ط : إيران - دار الكتاب الإسلامي - د . ت) .

(٢) مناهج البحث العلمي : وضوابطه فى الإسلام : أ د / حلمي عبد المنعم صابر . صـ ٧٤ بتصرف يسير . ط : رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة السنة ١٦ العدد [١٨٣] ١٤١٨هـ .

(٣) مناهج البحث العلمي : أ د / عبد الرحمن بدوى . صـ ١٨ . ط ٣ : الكويت - وكالة المطبوعات سنة ١٩٧٧ م .

(٤) أصول البحث : صـ ١٩٣ . (مرجع سابق) .

ومن أوضح صوره : البرهنة الرياضية ، ويقوم المنهج الاستنباطي على مقدمات مسلَّم بها بصفة نهائية أو مؤقتة ، ونتائج تنتج عنها بالضرورة[١] .

وتعدُّد هذه المناهج فى هذا البحث، راجع إلى أنى وجدت نفسى فى حاجة إليها ، ولا غنى لي عنها ، لأن طبيعة البحث ، وجزئياته فرضت علىَّ ذلك ، ومعروف أن المناهج العلمية يخدم بعضها بعضا ، بل ويتداخل بعضها مع بعض لضرورة تقتضى مصلحة البحث وتكامله ...

هذا : وفى ضوء تلك المناهج آنفة الذِّكْر سِرْتُ متبعاً الخطوات التالية بالترتيب الآتي :

– استرددتُ نصوصَ القرآن الكريم الخاصة بموضوع البحث ، كما استرددت بعضاً من نصوص السنة النبوية التي تخدم البحث فيما يتفرع عنه من قضايا ، وذلك بغية توظيفها في موضوع البحث ، رابطاً إياها بالحاضر والواقع المعيش .

ـــ استقرأتُ، وتتبَّعْتُ هذه النصوص فى مظانِّها المعتمدة، وكوَّنتُ من مجموعها وحدة موضوعية متكاملة قدر الطاقة للبحث .

ـــ اتخذتُ من النصوص القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الوضيئة دليلاً وسنداً أصيلاً لتوثيق محاور البحث، كل نصٍّ فى موضعه لا يتعداه، حرصاً على الموضوعية، والإيضاح لمضامينها .

- أن البحث بطبيعته بحث إسلامي يتعلق بالعبد الصالح، والملك العادل، والداعية الحكيم ذي القرنين ﷺ،وانطلاقاً من ضرورة ربط الأصالة بالمعاصرة لتفعيل الإسلام في كل

---

(١) مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة أ د / فرج الله عبد الباري أبو عطا الله . صـــ ٤٨٩ . ط ١ : ١٤٢٣ هـــ - ٢٠٠٢ م . (د . م) .

حدث، وفي كل زمان ومكان تطرَّقَ البحثُ من خلال عَرْضٍ وَصْفِيٍّ، تطرق للحديث عما ينبغي أن يكون في عصرنا الحاضر من أهمية العدل، والجِدِّ والنشاط في الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه والاستمساك بتعاليمه مقروناً بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وذلك عَبْر توجيهات، وتوصيات، واستنباطات استخلصها العلماء- في القديم وفي الحديث - من هذه النصوص القرآنية والنبوية، وجادت بها قرائحهم، كلٌ بحسب ما أفاء الله تعالى عليه، وقد أدليْتُ برأيي في بعض مواطن البحث، فإن كنت قد وُفّقتُ فلله تعالى الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فأرجو منه سبحانه أن يغفر لي الخطأ والزَّلّة ، وأن لا يحرمني الأجر بفضله .

خطة البحث:

وقد قسَّمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: وهي تلك التي صدرتُ بها البحث ، وذيلْتُها بأهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وصعوبة الموضوع ، ومنهج البحث .

التمهيد : وتناولت فيه التعريف بمفردات عنوان البحث .

المبحث الأول : التعريف بـــ " ذي القرنين "ﷺ من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية .

المبحث الثاني : معالم الدعوة، والقيادة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معالم الدعوة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

المطلب الثاني : معالم القيادة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

المبحث الثالث : معالم الدعوة ، والقيادة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل المطلع (المشرق) من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

المبحث الرابع : معالم الدعوة ، والقيادة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معالم الدعوة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

المطلب الثاني: التأصيل لضرورة تعلم القادة والدعاة بعض اللغات الأجنبية من خلال قصة " ذي القرنين " ﷺ .

المطلب الثالث : معالم القيادة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم ، والسنة والنبوية .

المبحث الخامس: سبل الاستفادة من قصة " ذي القرنين " ﷺ للقادة ، والدعاة ، والرعية في العصر الحاضر.

الخاتمة : واشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

تمهيـــد

التعريف بمفردات عنوان البحث

" معالم الدعوة[١] والقيادة في شخصية ذي القرنين ﷺ"

أولاً : تعريف "معالم" :

كلمة "معالم" جمع مَعْلَم، وهي تطلق في اللغة ويراد بها: العلامة، والدلالة، والأثر. جاء في لسان العرب وغيره: ["المَعْلَم": العلامة. ومعلم الشيء : دلالته ، والمعلم : الأثر يُستدل به على الطريق ، وجمعه معالم] [٢].

ثانياً : مفهوم الدعوة :

[أ] في اللغة :

ورد في المعجم الوسيط : [دعا إلى الشيء : حث على قصده ، يقال : دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين ، وإلى المذهب : حثه على اعتقاده .

---

(١) قدمتُ " الدعوة " على " القيادة " لكونها أشرف عمل نص عليه التنزيل في قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت : ٣٣] .

(٢) ينظر: لسان العرب: للإمام/ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ٣٠٨٥/٤ ط: مصر- دار المعارف. مادة "عَلِمَ" (د.ت)، ومعجم متن اللغة: للعلامة اللغوي الشيخ/ أحمد رضا ١٩٥/٤مادة (ع ل م) ط: بيروت- دار مكتبة الحياة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، والمعجم الوسيط: لنخبة من أعضاء مجمع اللغة العربية ٦٤٧/٢.مادة (عَلِمَ) ط: ٣ القاهرة- مجمع اللغة العربية (د.ت).

ومنه : الداعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة . أما الدعاية : فهي الدعوة إلى مذهب أو رأي بالكتابة أو الخطابة ونحوهما (محدثة)] (١).

من هذا يُعلم: أن الدعوة في اللغة تعني: الحث على الشيء أو الدين وطلب اعتقاده، والدعاية له من خلال وسائل وأساليب معلومة، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ (٢)

وقال النبي ﷺ في رسالته إلى هرقل عظيم الروم: "فإني أدعوك بدعاية الإسلام"(٣).

[ب] في الاصطلاح :

وأما الدعوة في الاصطلاح فهي لا تختلف كثيراً عن المعنى اللغوي السابق لها ، فالدعوة في اللغة أعم، وفي الاصطلاح أخص، وتخضع لقيود معينة، تجعلها مصوبة إلى جانب معين هو الدين الإسلامي الخاتم .

لهذا عرفت بتعاريف عدة لا تخرج فيها عن إطار نشر الدين الإسلامي بوسائل وأساليب محكومة بهدف وغاية ..

١ – عُرفت الدعوةُ الإسلامية– بمعنى البلاغ والنشر–بأنها:[تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى ما فيه من عقيدة التوحيد الخالص، والإيمان النقي، وبكل ما

---

(١) ١ / ٢٩٦ مادة (دعا) .

(٢) سورة الرعد من الآية : ١٤ .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب : بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/٩ وهو من حديث طويل رواه ابن عباس رضي الله عنهما .

جاء به من عند الله في كتابه الكريم، وفي سنة رسوله محمدﷺ، والعمل به في جميع شئون الحياة، دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، أو غير ذلك][١].

٢ – وعُرفت – كذلك – بـ [قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان ، لاقتفاء أثر الرسول ﷺ ، والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً][٢] .

٣ – من تعريفاتها ـ أيضاً ـ : [حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل][٣] .

تعليق على التعريفات السابقة :

هذه التعريفات الاصطلاحية للدعوة الإسلامية هي مما جادت به قرائح أصحابها، لكن كل منهم أثناء محاولته إيجاد تعريف للدعوة كان يركز على منظور معين لها، يشغل جانباً من حياته، ويسعى لتحقيقه، وقد أصاب جميعهم. وبالتأمل في هذه التعريفات يمكن استخلاص تعريف اصطلاحي للدعوة أراه جامعاً لما تقدم ، فأقول وبالله التوفيق :

الدعوة في الاصطلاح هي: قيام الدعاة الأكفاء بتبليغ دين الله تعالى، من خلال مصادره: القرآن الكريم، والسنة النبوية وغيرهما إلى الناس ، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة ، بوسائل وأساليب معينة، بغية تطبيقه، والعمل على إحياء نظامه السياسي، والجنائي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي وغيره حتى يفوزوا برضا الله والجنة .

---

(١) الدعوة إلى سبيل الله "أصولها وميادينها" : أ.د / عبد الخالق إبراهيم إسماعيل ص١٠ ، ط ١ : القاهرة – مطبعة الأمانة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٢) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل : د / محمد بن سيدي بن الحبيب ص ٢٧ ط ١ : جدة – دار الوفاء للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

(٣)الدعوة إلى الإصلاح:للشيخ/ محمدالخضر حسين ص١٧،ط:القاهرة – المطبعة السلفية ١٣٤٦هـ

فقد اشتمل هذا التعريف على الأركان والعناصر التالية :

١ – الداعي الكفء: وهو من يقوم بدعوة الناس على هدى وبصيرة إلى دين الله تعالى، للإيمان به ، والاستمساك بتعاليمه .

٢ – المدعو إليه: دين الله تعالى، وهو الإسلام بما احتواه من عقائد وتشريعات وأخلاق.

٣ – المدعو به : القرآن(١) والسنة(٢) وغيرهما .

٤ – المدعو : وهو من توجه إليه الدعوة ، يستوى فى ذلك العربي والأعجمي ، المؤمن منهم والكافر ، المطيع والعاصي ، أو هو [كل إنسان توافر فيه شرط التكليف ، والخطاب بالدعوة ، وهما البلوغ والعقل ، ذكراً كان أو أنثى ، عربياً كان أو أعجمياً ، من منطلق عالمية الدعوة ، وخاتميتها. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٣]][٤] .

---

(١) القرآن : هو كلام الله عز وجل ، الموحى به إلى محمد ﷺ باللفظ العربي ، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر ، المعجز بأقصر سورة منه [انظر: بحوث منهجية فى علوم القرآن : أ.د/ موسى إبراهيم الإبراهيم ، ص١٤ ط٢: الأردن ــ دار عمار ١٤١٦هـ=١٩٩٦م] .

(٢) السنة النبوية: هى ماأُثِرَ عن النبىﷺمن قول أوفعل أوتقرير، أوصفة خِلْقية أوخُلقية، أوسيرة، سواء كان قبل البعثة أوبعدها.[انظر:السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامي:أ.د/مصطفى السباعى ص:٤٧، ط٤: بيروت- المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م].

وأقصد بغير القرآن والسنة بقية مصادر التشريع كالإجماع والقياس والمصالح المرسلة والعرف والاستصحاب والاستحسان .... إلخ.

(٣) سورة سبأ : ٢٨ .

(٤) أصول الدعوة : أ.د / عبد الكريم زيدان ص ٣٧٣ باختصار ، ط ٣ : بيروت – مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٥ – طبيعة الدين الإسلامي حيث : عالمية مبادئه ، وأصوله ، وعالمية المكان ، والزمان وخاتميته، وهو الإشارة بقولي: "في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة " .

٦ – الوسائل : جمع وسيلة [وهى : القناة الموصلة للغاية ، أو هى الأداة المستخدمة فى نقل المعانى والأفكار للناس] (١).

٧– الأساليب : جمع أسلوب [وهو : عرض ما يراد عرضه من معانٍ وأفكار ، ومبادئ وأحكام فى عبارات وصيغ معينة] (٢).

٧ – الهدف من التبليغ : وهو تطبيق دين الله ، وإحياء أنظمته .

٨ – الغاية من الدعوة : " رضا الله والجنة " .

ثالثاً : القيادة :

[أ] في اللغة : القيادة من الجانب اللغوي ، وما يشتق منها تعني :

* تقدم الشيء ، والريادة ، والقدرة على التأثير ، والظهور ، والسيطرة .

* والانقياد، والخضوع، والإذعان من قبل المقود، وسيره على هوى وإرادة القائد.

---

(١) انظر:وسائل الدعوة:أ.د/سعيدمحمدالصاوي،ص:٢٠،ط٤: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م،"بدون مكان الطبع".

(٢) انظر:الدعوة الإسلامية فى العهد المكي:أ.د/إبراهيم عبد الرحمن عتلم، ص:١٧١، ط١:القاهرة-دار الطباعة المحمدية ١٤١٢هـ= ١٩٩١م .

جاء في المعجم الوسيط وغيره : [أقاده خيلاً : أعطاه إياها يقودها ، وانقاد : خضع ، وذل ، وأعطى فلان القياد : أذعن] (١).

[والقِياد: الحبل الذي تقود به. والانقياد الخضوع](٢) [ومن المجاز : إن فلاناً سَلِس القياد: يتابعك على هواك، وأعطيته مقاديّ: انقدت له، وطريق منقاد: مستقيم] (٣).

[ب] القيادة في الاصطلاح : يحتوي المعنى الاصطلاحي للقيادة على جزء كبير من المعنى اللغوي، إذ هو الأساس، لكن يزيد عليه ما يخصصه من قيود تلازمه، ولا تنفك عنه، لضمان سير وصلاح القيادة بأركانها: القائد، والمقود، والفعل الصادر عن القائد، والوسائل والأساليب التي تُتَّبع، والآثار والأهداف ..

لهذا : عرفها العلماء – وعلماء النفس والاجتماع خاصة – بعدة تعريفات ، لكنها في النهاية تدور حول قالب معنوي واحد لا تحيد عنه، مع التقارب في التعبيرات والألفاظ.

فعرفها الأستاذ الدكتور/محمد عبدالقادر(٤)بأنها [القدرة على التأثير في الآخرين، وإقناعهم بضرورة الاجتماع، والالتفات حول هدف، أو أهداف معينة، وحفزهم على تحقيقها.

---

(١) ٢ / ٧٩٥ مادة (قَوِدَ) ، ومعجم متن اللغة ٤ / ٦٧٢ ، ٦٧٣ مادة (ق و د) .

(٢) لسان العرب ٥ / ٣٧٧٠ ، ٣٧٧١ مادة (قَوِدَ) .

(٣) أساس البلاغة : للإمام / جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، تحقيق الأستاذ/ عبد الرحيم محمود ، مادة (ق و د) ط : بيروت – دار المعرفة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٤) لم أقف له على ترجمة .

وعرفها الأستاذ الدكتور/ محمد منير حجاب[١] بأنها: القدرة على التأثير في الآخرين من خلال التواصل بهم ليسعوا بحماس والتزام إلى أداء معين، لتحقيق أهداف مخططة من قبل.

وعرفها الأستاذ الدكتور / رشاد علي[٢] بأنها : عبارة عن تفاعل متبادل بين القائد وأعضاء الجماعة من أجل تحقيق أهداف المصلحة العليا للآخرين ، وإشباع حاجاتهم وحل مشكلاتهم ، وبناء العلاقات الإيجابية بينهم ، وكل ما يؤدي إلى زيادة الإنتاج ، ورفاهية الإنسان، وذلك من خلال التواصل والإدراك المشترك بين القائد ، والأعضاء ، والمهارات والخبرة] [٣].

وهذه التعاريف تتناول القيادة العليا للدولة وما دونها من المؤسسات وغيرها ..

والقيادة بهذا المعنى تشتمل على :

= القائد .

= المقود .

= الهدف .

= إذعان المقود للقائد لتحقيق الأهداف العليا المخطط لها من خلال التفاعل المشترك ، والاستعانة بالمهارات والخبرة .

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) نقلاً عن: أصول علم نفس الدعوة : أ.د / رشاد علي عبد العزيز موسى : ص٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ (بدون ذكر الطبعة وتاريخها ومكانها) .

فهي إذن – أي القيادة – :

= تأثير من قبل القائد .

= تأثر من جهة المقود ، وإذعان منه للقائد .

= تحقيق الأهداف والمقاصد بالوسائل والأساليب المتفق عليها عبر التفاعل والتناغم بين القائد والمقود أو الراعي والرعية .

رابعاً : دلالة الحرف (في) :

[(في) حرف يفيد الظرفية المكانية .. قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (١)، والظرفية الزمانية: قال سبحانه:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾(٢)،والظرفية المجازية

قال جل شأنه : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾(٣)] (٤).

وحرف (في) الذي بعنوان البحث من قبيل الظرفية المجازية أو المعنوية ، فإن الشخصية أمر اعتباري أو معنوي لا تصلح أن تكون مظروفاً مادياً لهذا الحرف .

---

(١) سورة الأحزاب من الآية : ٣٣ .

(٢) سورة القدر الآية : ١ .

(٣) سورة الفيل الآية : ٢ .

(٤) المنجم في الألفاظ النحوية : أ / المهدي محمد الحلي ص ٢٣٤ رقم (٢٣٥) ط : طرابلس – مجلس الثقافة العام (د . ت) .

خامساً : شخصية :

[أ] في اللغة :

مادة " شَخَصُ " على تعدد صيغها وأوزانها تعني :

= الارتفاع والعلو بشقيه المادي كعلو الشيء وارتفاعه ، والمعنوي كعلو القدر والمنزلة والمكانة [يقال: شَخَصَ الشيءُ: ارتفع . و – بدا من بعيد ، والظاهر أنه الأصل في المعنى ، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور ، وشَخُصَ : علا قدره ، فهو شخيص] (١).

= الضخامة والبدانة: ومنه : [شَخُصَ شخاصة : بَدُن ، وضَخُم ، فهو شخيص ، وهي شخيصة ، وامرأة شخيصة : جسيمة] (٢).

= ما يُنعت به الإنسان من صفات تميزه عن غيره : [يقال : فلان ذو شخصية قوية : ذو صفات متميزة ، وإرادة ، وكيان مستقل] (٣).

[ب] الشخصية في علم النفس والاجتماع :

وقد عُرِّفت الشخصية في علم النفس والاجتماع بتعريفات عديدة ، يتضمن جزء من معناها بعض أجزاء من المعاني اللغوية لها ، وهي على تعددها لا تخرج عن إطار مجموعة من الصفات تميز المنعوت بها عن غيره .

---

(١) المعجم الوسيط ١ / ٤٩٤ مادة (شَخَصَ) .

(٢) معجم متن اللغة : مج ٣ / ٢٨٨ . مادة (ش خ ص) .

(٣) مجمل اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ٢ / ٥٢٣ ، ٥٢٤ باب الشين والخاء وما يثلثهما ط ١ : بيروت – مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

ففي المعجم الفلسفي :

[الشخصية: جملة من الخصائص الجسمية، والوجدانية، والنزوعية، والعقلية، التي تحدد هوية الفرد، وتميزه عن غيره .

وللشخصية عند علماء النفس جانبان :

أحدهما: ذاتي .

والآخر: موضوعي .

فالجانب الذاتي : هو الذي يعبر عنه الفرد بقوله " أنا " ، مشيراً بذلك إلى حياته العقلية ، والعاطفية ، والإدراكية ، والإرادية ، والجسمية من حيث هي مُوَحَّدة ومستمرة .

أما الجانب الموضوعي : فيتألف من مجموع ردود الفعل النفسية والاجتماعية التي يواجه بها الفرد بيئته .

أو يتألف من أنماط السلوك التي تعينه على تكييف نفسه، وفقاً لبيئته الطبيعية والاجتماعية.

وإذا امتاز الرجل على غيره بقوة إرادته ، أو نفوذه وسلطانه ، أو أسلوبه أو منصبه أو منزلته ، أو نشاطه ، قيل إنه ذو شخصية بارزة] (١).

كما تُعَرف الشخصيةُ بوجه عام بأنها: [الفرد المتفوق ، أو الذي له سلطان] (٢).

---

(١) المعجم الفلسفي: د/ جميل صليبا ١/٦٩٢، ٦٩٣، ط : بيروت – دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م .

(٢) المعجم الفلسفي : لنخبة من أعضاء مجمع اللغة العربية ص ١٠١ (حرف الشين) رقم (٥٤٠) ط : القاهرة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

وهكذا كان ذو القرنين ﷺ ، كان يتمتع بجملة من الصفات الحميدة جعلته شخصية بارزة في وجاهته ، وهَيْبته ، وعلوِّ مداركه ، وحسن خلقه بين أبناء جيله وبيئته ومجتمعه ، استطاع بها قيادتهم إلى الخير والحق والعدل ، مهتدياً في ذلك بهدي السماء .

سادساً : ذو القرنين :

أما " ذو القرنين " فهو لقب لصاحب الشخصية مناط البحث ، وسيأتي – بإذن الله تعالى – بيان معناه على نحو مفصَّل في المبحث الأول .

سابعاً :" ﷺ " :

هذه جملة خبرية لفظاً ، إنشائية دعائية معنى ، أي اللهم ارْضَ عنه .

ثامناً : " من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية " :

أي من خلال النفوذ إلى رحاب آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الخاصة بموضوع البحث ، نفوذاً يتخلله غوص عقلي ، قلبي ، وجداني بغية معرفة المراد منها معنى وقصداً. [يقال: خَلَّ الشيءَ: ثقبه ونفذه، والخِلال: مُنْفَرَج ما بين الشيئين، يقال: جاسوا خلال الديار: ساروا وترددوا بينها، (ج) أَخِلَّة، والخُلَّة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه] (١).

(١) المعجم الوسيط : ١ / ٢٦١ – ٢٦٢ مادة (خَلَلَ) .

تاسعاً : مفهوم القرآن بين اللغة والاصطلاح :

[أ] في اللغة :

بالرجوع إلى المعاجم العربية تبين أن مادة (قرأ) وما يشتق منها وردت بمعان عديدة ، أبرزها :

١ – تتبع الكلمات بالنظر إليها ، والنطق بها ، أو بأحدهما .

ففي المعجم الوسيط : [" قَرَأَ " الكتابَ – قراءةً وقرآنا : تتبع كلماته نظراً ، ونطق بها ، وتتبع كلماته ولم ينطق بها ، وسميت حديثاً بالقراءة الصامتة ، وقرأ الآية : نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ ، فهو قارئ (ج) قُرّاء] (١).

٢– القراءة بمعنى التلاوة: [يقال: قرأ الكتاب قراءة وقرآناً: تلاه فهو قارئ](٢).

[والقرآن: القراءة، ومنه قول الله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾(٣) أي قراءته،﴿ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴾(٤)أي: قراءته](٥).

٣ – المقروء والمكتوب :

---

(١) ٢ / ٧٥٠ مادة (قرأ) .

(٢) معجم متن اللغة : للعلامة الشيخ / أحمد رضا مج ٤ / ٥١٩ مادة (قَ رَ أَ) .

(٣) سورة القيامة الآية : ١٧ .

(٤) سورة القيامة الآية : ١٨ .

(٥) الصحاح في اللغة والعلوم: للعلامة الجوهري،ط:بيروت–دارالحضارة العربية، مادة (قرأ)[د.ت].

ففي تاج العروس : [والقرآن : المقروء والمكتوب في المصاحف] (١) والقرآن على هذا المعنى هنا: مصدر بمعنى المفعول ، من باب تسمية المفعول باسم مصدره .

وعليه : فالقرآن مشتق من القراءة ، بمعنى التلاوة ، وهذا الاشتقاق يتفق مع الهدف الأسمى من نزوله ، وهو قراءته تعبداً وتدبراً ..

[ب] في الاصطلاح :

وأما القرآن في الاصطلاح فَعُرّف بأنه [كلام الله – عز وجل – الموحَى به إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم باللفظ العربي المتعبَّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر ، المعجز بلفظه ومعناه ، بأقصر سورة منه] (٢).

ذلك القرآن العظيم تكفل الله تعالى بحفظه ، كما قال جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) ، فجاءنا ذلك القرآن مكتوباً في السطور ، محفوظاً في الصدور ، متواتر الإسناد ، لذا كان معجزاً بأقصر سورة منه ، متعبداً بتلاوته ، تمييزاً له عن كلام الإنس والجن والملائكة، وبلغ من القداسة أن يكفر من يكذبه ولو آيةً منه

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: للعلامة/محمد مرتضى الزبيدي مج ١ / ١٠١ مادة (قرأ) فصل القاف من باب الهمزة ، ط ١ : بيروت – منشورات مكتبة الحياة ١٣٠٦هـ .

(٢) بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم : أ.د / موسى إبراهيم الإبراهيم ص ١٤ ، ط ٢ : الأردن – دار عمار ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

(٣) سورة الحجر الآية : ٩ .

وقد وصف الله تعالى القرآن في بعض آياته بأنه(كريم)،فقال جل شأنه:﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾(١)،[كريم عند الله، عظيم النفع للناس، كريم بما فيه من كرائم الأخلاق، ومعالي الأمور، ويُكَرَّم حافظُه، ويُعَظَّم قارؤه(٢)، كريم: ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفتري، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم ، وشفاء صدورهم ، كريم على أهل السماء ، لأنه تنزيل ربهم ووحيه،كريم لأنه غير مخلوق... الخ] (٣).

عاشراً : مفهوم السنة النبوية :

[أ] في اللغة :

جاء في لسان العرب:[السنة: السيرة: حسنة كانت أو قبيحة، والطريق المحمودة المستقيمة، وسَنَن الطريق: نَهْجه، والسنة: المصدر، والسَّنَن: القصد](٤)، وجُلّ هذه المعاني تنطبق على سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهي المصدر الثاني للإسلام ، وقد اشتملت سنته الشريفة على سيرته العطرة ، ومنهجه القويم في الدعوة ، بقصد هداية الناس إلى بارئهم عز وجل ، وفوزهم بسعادة العاجل والآجل .

---

(١) سورة الواقعة الآية : ٧٧ .

(٢) النكت والعيون(تفسير الماوردي):للإمام/أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري مج ٥/٤٦٣،ط١:بيروت-دارالكتب العلمية١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : للإمام / شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي ٧ / ٢٢٤ ، ط ١ : القاهرة – دار الغد العربي ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

(٤) مج ١٣ / ٢٢٥ – ٢٢٦ مادة (سَنَنَ) .

[ب] في اصطلاح المحدثين :

وقد عرفها علماء الحديث بأنها: [ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خُلُقية ، أو خَلْقية ، أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها] (١).

هذا .. والعبد الصالح ذو القرنين ﷺ لم يرد بشأنه حديث نبوي صحيح، سواء فيما يتعلق بتحديد اسمه، أو زمانه، أو مكانه، أو رحلاته الثلاث باستثناء الرَّدْم أو السد الذي أقامه ذو القرنين ﷺ حمايةً لأهل الشمال من شر يأجوج ومأجوج، فقد ورد بشأنه حديث صحيح كما سيأتي في المطلب الثالث من المبحث الرابع إن شاء الله، ودور السنة في هذا البحث هنا هو فيما يتفرع عن قصة ذي القرنين من قضايا تتعلق بأمور القيادة، والدعوة الإسلامية بصفة عامة ، فإن تلك القضايا نالت قدراً وفيراً من صحيح السنة النبوية الوضيئة يفي بالغرض والمقصود .

الحادي عشر : دراسة تأصيلية :

[أ] دراسة: [يقال: درس الكتاب ونحوه: تعهده بالقراءة والحفظ فلا ينساه] (٢).

[ب] تأصيلية: من الفعل أَصَّلَ [وأصَّلَ الشيءَ: جعل له أصلاً ثابتاً يُبنى عليه، وأصْلُ الشيء أساسه الذي يقوم عليه] (٣).

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي:أ.د/مصطفى السباعي ص٤٧،ط٤:بيروت–المكتب الإسلامي ١٩٨٥م،وأعلام المحدثين:للشيخ الدكتور/محمد محمد أبوشهبة ص٣٩،ط:١٩٦٣م(بدون مكان الطبعة).

(٢) المعجم الوسيط ١ / ٢٦١

(٣) نفس المصدر ١ / ٢٠ ، وانظر : التعريفات للجرجاني ص ٢٢ .

وعليه .. فقولي " دراسة تأصيلية " أعني به : تعهدي موضوع البحث بالقراءة ، والفهم والاستيعاب والتحليل والاستنتاج قدر استطاعتي تعهداً قائماً على أصل أو دليل ثابت تُبنى عليه هذه الدراسة ، والأصلُ أو الأساس أو الدليل مراد به هنا : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

المراد بعنوان البحث :

بناء على ما تقدم من المعاني اللغوية والاصطلاحية يتضح المراد من عنوان البحث ، حيث يعني بإيجاز : معالم ودلالات الشخصية الدعوية ، والقيادية لذي القرنين ﷺ ، من خلال ما حباه الله تعالى به من صفات مميزة ، تجلّى أثرها في أخلاقه ، وأعماله التي قام بها في رحلاته الثلاث ، في الغرب ، وفي الشرق ، وفي الشمال ، حيث : دعوته الناسَ هناك إلى الإيمان بالله تعالى ومقتضياته من العبادات وسائر التكاليف الشرعية ، وإنصاف المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، ونشر العدل ، والقيام بالعمل العمراني النهضوي الحضاري على نحو ما ذكر القرآنُ الكريم.

المبحث الأول

التعريف بـ "ذي القرنين" ﷺ من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية

ورد ذكرُ ذي القرنين ﷺ في بعض كتب السيرة والسنة النبوية ، منها :

ما جاء في سبب نزول سورة الكهف بما احتوته من قصصها .

عن عبد الله بن عباس(١) ﷺ أن قريشاً دعت خمسة رهط ، منهم عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث إلى المدينة يسألون اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم صفته ، فقالوا لهم : " نجد نعته وصفته ومبعثه في التوراة ، فإن كان كما وصفتم لنا فهو نبي مرسل ، وأمْرُه حق فاتبعوه ، ولكن سلوه عن ثلاث خصال ، فإنه يخبركم بخصلتين ، ولا يخبركم بالثالثة إن كان نبياً ، فإنا قد سألنا مسيلمة الكذاب عن هؤلاء الثلاث فلم يدر ما هي ، فرجعت الرسل إلى قريش بهذا الخبر من اليهود ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا له يا محمد: أخبرنا عن ذي القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب، وأخبرنا عن أصحاب الكهف ، وأخبرنا عن الروح ، فقال ﷺ : أخبركم بذلك غداً ، ولم يقل إن شاء الله ، فأبطأ عليه جبريل عليه السلام خمسة عشر يوماً ، فلم يأته لترك الاستثناء ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ ، ثم أتاه جبريل عليه السلام بما سألوه ، فقال ﷺ : يا جبريل أبطأتَ عليّ ، فقال : لتركك الاستثناء ، ألَا تقول إن

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس(٣ ق هـ = ٦٨ هـ / ٦١٩-٦٨٧م) حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكة ، ونشأ في بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة ، وشهد مع علي الجمل وصفين ، وكفّ بصره في آخر عمره فسكن الطائف ، وتوفي بها ، له في الصحيحين وغيرهما (١٦٦٠) حديثاً ، قال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس.[انظر: الأعلام: للزركلي٤ / ٩٥] .

شاء الله ؟ فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (١)، ثم أخبره بخبر ذي القرنين، وخبر الروح، وأصحاب الكهف، ثم أرسل ﷺ إلى قريش فأتوه فأخبرهم عن حديث ذي القرنين وقال لهم: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾(٢)، يقول ﷺ: من علم ربي ما لا علم لي به، فلما وافق قول اليهود أنه لا يخبركم بالثالثة ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾(٣)- أي: تعاونا، يعنون التوراة والفرقان- ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ (٤)، وحدثهم بحديث أهل الكهف] (٥).

مصداق ذلك فيما يتعلق بالعبد الصالح والملك العادل ذي القرنين ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾(٦).

---

(١) سورة الكهف الآيتان : ٢٣ – ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء : من الآية ٨٥ .

(٣) سورة القصص : من الآية ٤٨ .

(٤) سورة القصص : من الآية ٤٨ .

(٥) انظر: السيرة النبوية: لأبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري، ج١/٢١١،ط:القاهرة دارالحديث ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م، ودلائل النبوة: للإمام/أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق المعروف بأبي نعيم الأصبهاني، ج١/٣٧٥،ط٢:بيروت- دار النفائس ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م، ودلائل النبوة: للإمام/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبي بكر البيهقي ج٢/ ٢٠ ، ط١: بيروت، دارالكتب العلمية ١٤٠٥هـ، والدرالمنثور في التفسيربالمأثور: للإمام/جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ج٤/٣٨٠-٣٨١، ط١:بيروت-دارالكتب العلمية ١٤١١هـ -١٩٩٠ م .

(٦) سورة الكهف ، الآية : ٨٣.

["ويسألونك عن ذي القرنين " أي عن تاريخه ، وعن خبره ، والمهمة التي قام بها ، " قل سأتلو عليكم منه ذكراً"، و"منه" أي بعضاً من ذكره وتاريخه، لا تاريخه كله] (١) [أي : سأقص عليكم من نبأه عن طريق هذا القرآن الذي أوحاه الله إليَّ ما يفيدكم ، ويكون فيه ذكرى وعبرة لكم إن كنتم تعقلون] (٢)، والسؤال هنا على سبيل الامتحان والاختبار بتحريض من اليهود لطائفة من قريش- كما هو واضح من سبب النزول -.

[وأي شرف بعد هذا الشرَف، إن الحق تبارك وتعالى يتولى التأريخ لهذا الرجل، ويؤرخ له في القرآن الكريم الذي يُتلَى ويُتعبَّد به إلى يوم القيامة ، والذي يُتَحَدَّى به ، ليظل ذكره باقياً بقاء القرآن ، خالداً بخلوده ، ويظل أثره فيما عمل أسوة وقدوة لمن يعمل مثله ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن العمل الصالح مذكور عند الله قبل أن يُذكرَ عند الخلق ، فأي ذكر أبقى من ذكر الله تعالى لخبر ذي القرنين وتاريخه؟

إذن : فذكر ذي القرنين ﷺ في كتاب الله شرف كبير ، ومنه إشارة إلى أن فاعل الخير له مكانته ومنزلته عند الله، ومجازَىً بأن يُخلِّد ذكرُه ، ويبقى صيته بين الناس في الدنيا] (٣).

ذو القرنين عبد صالح ، وملك عادل وليس بنبي على الراجح :

جاء في التفسير الكبير : [واختلفوا في ذي القرنين :

هل كان من الأنبياء أم لا ؟

---

(١) تفسير الشعراوي: للإمام محمد متولي الشعراوي مج١٤/٨٩٧٩.باختصار كبير،ط:مصر-دار أخبار اليوم (بدون تاريخ) .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : أ.د / محمد السيد طنطاوي ، مج ٨ / ١٥ / ١٤٠ ، ط: القاهرة ــ مطبعة السعادة ١٤٠٤ هـ= ١٩٨٤م .

(٣) تفسير الشعراوي:للإمام محمدمتولي الشعراوي مج١٤/٨٩٧٩-٨٩٨١.باختصار كبير(مرجع سابق).

منهم من قال إنه كان نبياً ، واحتجوا عليه بوجوه :

الوجه الأول: قوله:﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾(١)،والأوْلى حمله عن التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة .

الثاني: قوله:﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾(٢)،ومن جملة الأشياء النبوة، فمقتضى العموم في قوله ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ هو أنه تعالى آتاه في النبوة سبباً.

الثالث: قوله تعالى:﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٣)والذي يتكلم الله معه من غير واسطة لابد أن يكون نبياً .

ومنهم من قال: إنه كان عبداً صالحاً، وما كان نبياً ، وحَمْلُ هذا اللفظِ على أن المراد أنه خاطبه على ألسنة بعض الأنبياء فهو عدول عن الظاهر] (٤) .

وأفهم من كلام الإمام الرازي ﷺ بما استدل به أنه يرى نبوة ذي القرنين ، لكن مثل هذا يحتاج إلى تصريح عنه بلفظ النبوة من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية الصحيحة ، وذلك لعظم مقامها ، ولا يوجد.

---

(١) سورة الكهف من الآية: ٨٤ .

(٢) سورة الكهف من الآية: ٨٤ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٨٦ .

(٤) التفسيرالكبيرأو مفاتيح الغيب: للإمام/فخرالدين محمد بن عمربن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي مج١١/٢١/١٤٠-١٤١،ط١:بيروت-دارالكتب العلمية١٤١١هـ-١٩٩٠م.

لذا جاء في محاسن التأويل رداً عليه: [ولا يخفى ضعف الاستدلال بهذه الأدلة – أي تلك التي استدل بها الإمام الرازي ﷺ – على نبوته ، لأن مقام إثباتها يحتاج إلى تنصيص وتخصيص ، وأما تعمدُ الجَرْيِ وراء العمومات لاستفادةِ مثلِ ذلك فغيرُ مقنع](١).

وهذا ما حمل أكثرَ المفسرين والعلماء على القول بأنه عبد صالح ، آتاه الله ملكاً عريضاً ، وسلطاناً نافذاً ، استخدمه في الدعوة إلى دين الله تعالى ، والتمكين له ، وإنصاف المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، ونشر العدل في زمانه بين ربوع الأرض وفق ما أمر الله تعالى .

هذا: ولم يُعَرِّف القرآن الكريم "ذا القرنين"ﷺباسمه(٢)،وشخصه، إنما عَرَّفَه بحاله ووصفه، قال تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) محاسن التأويل المسمى تفسير القاسمي: للإمام/محمد جمال الدين القاسمي ج١١/٩٤،٩٣(مرجع سابق).

(٢) ذو القرنين : اختلفت في اسمه أقوالُ المفسرين اختلافاً كبيراً ، لعل أقربها إلى الصواب أنه أبو كرب الحِمْيَري ، وهو الذي افتخر به تُبَّع اليماني "أي اليمني"، حيث قال :

" قد كان ذي القرنين جدي مسلماً ... مـــلكاً علا في الأرض غير مقيَّدِ

بلغ المشارق والمغـــارب يبتغي ... أسبـــابَ مُلك من حكيم مرشدِ

ذكره أبو الريحان البيروني في كتابه المسمى:"الآثار الباقية عن القرون الخالية"] ثم قال: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب-أي:أقرب إلى الصواب-، لأن ملوك اليمن كانوا يُلقَّبون بكلمة "ذي".،كذي نواس، وذي رعين ، وذي يزن ، وذي جدل ... إلخ .

وذُكِر أنه كان في عصر نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وأنه اجتمع معه في مكة المكرمة ، وتعانقا ، وإلى كون ذي القرنين ﷺ كان في زمان إبراهيم عليه السلام ذهب غير واحد ، وقد ذكر الأزرقي أنه أسلم على يديه عليه السلام ، وطاف معه بالكعبة ، وكان ثالثهما إسماعيل عليه السلام ، وروي أنه حج ماشياً ، فلما سمع إبراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له ، وأوصاه بوصايا .

[روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني: للإمام/أبي الفضل شهاب الدين السيدمحمود الألوسي البغدادي مج٨/١٦/٢٧،ط:دارالفكر(بدون مكان الطبعة وتاريخها)،وانظر:التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د / محمد السيد طنطاوي مج ٨/١٥/١٣٩–ط:القاهرة–مكتبة السعادة١٤٠٤=١٩٨٤بدون رقم

==

وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾(١). كما لم يحدد زمانه ولا مكانه(٢)، إنما ركز على مواطن العبر والعظات من قصته، حيث:

= وجوب تخلق الحكام والقادة المسلمين على مر العصور وإلى يوم القيامة بالتواضع ، وعدم الاغترار بما آتاهم الله من ملك عريض ، وسلطان نافذ .

= وجوب تحريهم العدالة ، وتحقيقها بين الرعية .

= وجوب تزودهم بالقرآن والسنة وعلومهما ، وفن تبليغ الدعوة، والحكمة في نشرها ، وتسخيرهم ما آتاهم الله من ملك في خدمة دين الله تعالى " الإسلام " .

= ضرورة جعل الدعاة الدعوة الإسلامية شغلهم الشاغل ، والدفاع عنها ، والتضحية من أجلها بكل ثمين وغال ...

الطبعة]،ومع وجود القرينة المرجِّحة بأن ذا القرنين ﷺ عربي يمني، حيث كلمة "ذي" التي كان يُلقب بها ملوكهم، فالترجيح لا يفيد القطع، مما يجعلنا نعود إلى اتباع منهج القرآن الكريم في ذلك، إذ لم يحدد اسمه في القصة؛ لعدم تعلق هدفها بذكره.

(١) سورة الكهف الآيتان : ٨٣ – ٨٤ .

(٢) ذُكِرَ أن ذا القرنين ﷺ كان في زمن الخليل إبراهيم عليه السلام، وأنه طاف بالبيت معه أول ما بناه ، وآمن به واتبعه ، وكان وزيره الخضر ﷺ،[تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ج ٣/ ١٠٠ ، ط: القاهرة ـــ مكتبة دار التراث بدون تاريخ] ، ويرى بعض العلماء أنه كان بعد موسى عليه السلام، ويرى آخرون غير ذلك ، ومن المعروف أن القرآن الكريم يهتم في قَصَصِه ببيان العبر والعظات المستفادة من القصة ، لا ببيان الزمان أو المكان للأشخاص [التفسير الوسيط للقرآن الكريم:أ.د/محمدسيد طنطاوي:مج ٨/٢٤/١٤٠،ط:القاهرة-مكتبة السعادة١٤٠٤= ١٩٨٤-]. ولكن ما دام القرآن الكريم لم يحدد زمان ذي القرنين ﷺ ولا مكانه ، و لم تحدد السنة النبوية – كذلك – زمانه ومكانه بنص ثابت عن سيدنا رسول الله ﷺ ، فلا يُعَوَّلُ على مثل هذه الآراء كثيراً ، لأنها لا تفيد الجزم من جهة ، ولا تندرج تحت أهداف القصة من جهة أخرى .

جاء في كتاب: "الإسرائيليات والموضوعات": والذي نقطع به : أنه كان رجلاً مؤمناً ، صالحاً ، مُلكُه شرقُ الأرض ، وغربها ، وكان من أمره ما قصَّه الله تعالى في كتابه ، وهذا ما ينبغي أن نؤمن به ، ونصدقه. أما معرفة هويته ، وما اسمه ؟ وأين ، وفي أي زمان كان ؟ فليس في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة ما يدل عليه .

على أن الاعتبار بقصته، والانتفاع بها، لا يتوقف على شيء من ذلك ، وتلك سمة من سمات القصص القرآني، وخصيصة من خصائصه أنه لا يُعنى بالأشخاص، والزمان، والمكان مثل ما يُعْنى بانتزاع العبرة منها، والاستفادة منها فيما سيقت له](١).

[ومن المقطوع به ــ أيضاً ــ أن ذا القرنين هذا : ليس هو الإسكندر المقدوني الطوَّاف في البلاد ، والملقَّب بـــ " ذي القرنين " تلميذ أرسطو ، فإن الإسكندر كان في مقدونيا في الغرب ، وكان وثنياً ، بخلاف ذي القرنين الذي تحدث عنه القرآن ، فإنه جابَ المشرقَ والمغربَ، وكان مؤمناً بالله تعالى، ومعتقداً بصحة البعث والحساب(٢)](٣).

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: أ.د/محمد بن محمد أبو شهبة ص ٢٤٥، ط ٤ : القاهرة – مكتبة السنة ١٤٠٨هـ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوي، مج ٨/١٥/١٤٠، (مرجع سابق) ، وتفسير الشعراوي : للإمام محمد متولي الشعراوي مج١٤ / ٨٩٧٥ ، ط: مصر دار أخبار اليوم . " بدون رقم الطبعة وتاريخها " .

(٣) وليس من صالح القصة حصرُها في شخص بعينه ، لأن تشخيص حادثة القصة يُضعِف من تأثيرها ، ويصبغها بصبغة شخصية قد لا تتعدى إلى الغير ، وقد نرى من يقول بأنها مسألة شخصية لا تكرر ، والحق سبحانه يريد أن يضرب لنا مثلاً يَعُمُّ أيَّ شخص ، ماذا سيكون مسلكه وتصرفه إن مكَّن اللهُ له ، ومنحه الله قوة وسلطة ؟. إذن الحق سبحانه وتعالى أتى بهذه القصة غيرَ مُشَخَّصَة لتكون نموذجاً وأسوة يَحتذي به كلُّ أحد ، وهذا يعني أنها – أي القصة – صالحة لأن تتكرر في أي زمان وفي أي مكان.[تفسير الشعراوي : مج ١٤ / ٨٩٧٥ ، ٨٩٧٦ باختصار (مرجع سابق)].

وعليه : فأنا لا أدري لماذا أجهد علماء المسلمين عقولهم ، وأرهقوا أنفسهم وأبدانهم ولا يزالون في البحث عن إيجاد مبررات ومرجّحات لتحديد اسم "ذي القرنين" وألّفوا في ذلك كتباً وأسفاراً ، في الوقت الذي سكت فيه القرآن عن ذلك كله ؟!!

ألم يكن من الأحرى بهم ألا يُعيروا لذلك اهتماماً ، وأن ينحوا منحى القرآن في نهجه حيال هذه الجزئيات ، ويدخروا طاقاتهم الفكرية والإبداعية التي وهبهم الله تعالى إياها فيما يثمر دون استنفادها فيما لا طائل من ورائه ... ؟!!

ألا يُعَدّ ذلك من قبيل الترف العلمي ؟ ، وحتى لو وقفوا على اسمه ، فماذا يفيد ؟ أليس هذا من قبيل علم لا ينفع ، وجهل لا يضر ، مادام سكت عنه القرآن ؟!! فإن أجيب : بأن مرجع الأمر هو غريزة حب الاستطلاع . قلتُ : فَلْتُقَيَّد الغرائز وفق منهج القرآن ، وخالق الغرائز والأكوان .

هذا : وقد ذكر القرآن الكريم ذا القرنين ﷺ على صفتين :

[أولهما: أنه ذو سلطان متمكن، وأنه بما آتاه الله تعالى من عقل، وحكمة، ومن ملك وسلطان قد اجتمع له من الأسباب ما يُمكّن له من الحصول على مسببات لم تجتمع ليد أحد غيره في زمانه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[(١)][(٢)] [أي أعطيناه ملكاً عظيماً ممكّناً فيه من جميع ما يؤتَى الملوك من : التمكين، والجنود، وآلات الحرب، والحضارات، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمتْه الأممُ من العرب والعجم][(٣)].

---

(١) سورة الكهف الآية : ٨٤ .

(٢)التفسير القرآني للقرآن: للأستاذ/عبدالكريم الخطيب مج٤/٧٠٢،ط:القاهرة-دارالفكرالعربي(بدون تاريخ).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٠١ (مرجع سابق) .

[وليس المراد بقوله تعالى في الآية: "من كل شيء" العموم والشمول لجميع الأشياء وإنما المراد به كل ما يصلح به أمره، ويقوم عليه سلطانه، ومثل هذا قوله تعالى على لسان الهدهد عن ملكة سبأ:﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾(١)،ومثل قوله جل شأنه على لسان نبيه سليمان عليه السلام:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) فالمراد بكل شيء في الموضعين:كل ما يصلح عليه الأمر، ويتم به نظام الحياة في المستوى الطيب الكريم.

والأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها إلى نتائج ومسببات ، وما آتاه الله تعالى لذي القرنين ﷺ من أسباب لكل شيء هي تلك الوسائل السليمة الصحيحة المؤدية إلى مسببات ونتائج طيبة كريمة] (٣)وهي ــ على سبيل المثال ــ :

[= العلوم ، والمعرفة ، واستقراء سنن الأمم والشعوب ، صعوداً وهبوطاً .

= العلم بكيفية سياسة النفوس أفراداً وجماعات ، تربية وانتظاماً .

= القوة من : الأسلحة ، والجيوش ، والظفر والنصر .

= العمران ، وتخطيط المدن ، وشق القنوات ، وإنماء الزراعة .

ومهما قيل، ومهما تصور من أسباب التمكين الحسنة التي تليق برجل رباني، قد مُكّن له في هذه الأرض، يمكن أن يدخل تحت قوله تعالى:﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾(٤).

---

(١) سورة النمل من الآية : ٢٣ .

(٢) سورة النمل من الآية : ١٦ .

(٣) التفسير القرآني للقرآن : للأستاذ / عبد الكريم الخطيب مج ٤ / ٧٠٢ -- ٧٠٣ .

(٤) سورة الكهف : ٨٤ .

ويبقى للتصور مجال، وللخيال سعة لاستشفاف صور هذا التمكين وأشكاله، وذلك من خلال المؤكدات العدة التي وردت في الآية الكريمة وهي: (إنَّ) المفيدة التوكيد والنصب. و(نا) ضمير المتكلم المعظم نفسه ، و(له) المفيدة للتخصيص .

والعموم المستفاد من قوله تعالى:"مِن كُلِّ شَيْءٍ"](١).

[قال علي(٢)ﷺ : ذو القرنين كان عبداً صالحاً أحب اللهَ تعالى فأحبه اللهُ ، وناصح اللهَ – طلب نصحه ومعونته – فنصحه اللهُ] (٣).

وفي روح المعاني : [ذو القرنين عبد صالح ، ملّكه الله تعالى الأرضَ ، وأعطاه العلم والحكمة ، وألبسه الهيبة ، ولا نعرف من هو](٤) لأن الله تعالى عرّفه بحاله ووصفه لا باسمه وشخصه .

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي : أ.د / مصطفى مسلم ص ٣٠٤ ، ط ٣ : دمشق – دار القلم ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول اللهﷺ،وصهره على ابنته فاطمة، ووالد السبطين (الحسن والحسين)، هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وأحداً، والخندق، وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، وآخاه رسول الله ﷺ مرتين، فإن رسول اللهﷺ آخى بين المهاجرين، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة].(انظر: أُسْد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري مج ٤ / ٩٠ رقم (٣٧٨٣) طبعة الشعب .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : للإمام/أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ١٦٣/٣ ، ط ١ ، بيروت – دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للإمام / أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي مج ٢٤/١٦/٨ ، ط : دار الفكر (بدون مكان الطبعة وتاريخها) .

[قال تُبَّع[١] يمدح ذا القرنين :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً مَلِكاً تَدِين له الملوكُ وتسجُـــدُ

بلغ المشـــارقَ والمغاربَ يبتغي أسبابَ أمرٍ من حكيمٍ مرشِـــدِ

فرأى مغيبَ الشمسِ عند مَغِيبِها في عينِ ذي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ] [٢].

[الخُلُب في لغة حمير : الطين .

والثَّأْط: الحَمِأة أي حامية حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها، وملاقاتها الشعاع بلا حائل.

والحَرْمَد : الأسود .

---

(١) هو: تبع بن حسان بن كليكرب، وهو الملك السائر إلى اليمن والحجاز، وكانت له مع الأوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من معه من أحبار اليهود، فكساها القصب اليماني، وسار نحو اليمن، وقد تهوّد وغلبت على اليمن اليهودية، ورجعوا عن عبادة الأصنام، وكان ملكه مائة سنة ، وأما عصره فالمظنون أنه كان في القرن العاشر (قبل الهجرة) ، (الرابع قبل الميلاد) . وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:"لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم". وقال عطاء بن أبي رباح : " لا تسبوا تبعاً فإن رسول الله ﷺ نهى عن سبه " . [انظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي٢/٧٦-٧٧ ن ط:بيروت-دارالمعرفة١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، وتفسير القرآن العظيم : للإمام / ابن كثير ٤/١٤٤ — ١٤٥ ، والأعلام : للزركلي ٢ / ١٧٥ ط ٦ : بيروت — دار العلم للملايين ١٩٨٤م] ، وهو الذي ورد بشأنه قول الله تعالى : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [سورة الدخان:آية ٣٧].

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : للإمام النيسابوري ٣ / ١٦٤ (مرجع سابق) .

فهذه العين المذكورة حارَّة ، ذات ماء ، وطين أسود] (١).

[وثانية الصفتين : أنه مؤمن بالله تعالى ، واليوم الآخر ، وأنه أقام هذا الملك الواسع العريض على الحق ، والعدل ، والإحسان .

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾(٢).

فهو في هاتين الآيتين يُخاطَب من الله تعالى إلهاماً ، كما أنه يقوم داعية لله تعالى يدعو إلى الإيمان به سبحانه ، ثم هو مؤمن بالآخرة ، وبالجزاء الأخروي ، يأخذ الكافرين بالله بالبأساء والضراء في الدنيا ، ثم يَدَعهم ليلقوا في الآخرة العذاب الشديد النكر ، الذي لا تعرفه الحياة ، ولا يذوق مثلَه الأحياءُ في الدنيا .

ومما يدل على إيمانه بالله ، وبالآخرة، ما تكرر على لسانه من إضافته إلى ربه ، فيقول : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ (٣)،ويقول:﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾(٤)،ويقول:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(٥)] (٦).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للإمام : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٤/٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ط : القاهرة : مكتبة ابن تيمية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٢) سورة الكهف : ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ٩٥ .

(٤) سورة الكهف من الآية : ٩٨ .

(٥) سورة الكهف من الآية : ٩٨ .

(٦) التفسير القرآني للقرآن : الأستاذ / عبد الكريم الخطيب مج ٤ / ٧٠٢ (مرجع سابق) .

عبرة وعظة :

من العبر والعظات المتعلقة بحال ذي القرنين ﷺ من التمكين ، وتيسير الأسباب له على نحو ما مر ما يلي :

[١- الاعتبار برفع الله تعالى بعض الناس درجات على بعض ، ورزقِه من يشاء بغير حساب ملكاً ومالاً ، لما له من خفي الحِكَمِ ، وباهر القدرة ، فلا إله سواه .

٢- الإشارة إلى القيام بالأسباب ، واحترام الأخذ بسنن الله تعالى في الكون من الجِدِّ والعمل ، وأنه على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظَّفْر ، فإن ما قام به العبد الصالح ، والداعية العالم ، والحاكم العادل ذو القرنين ﷺ من ضربه في الأرض إلى مغرب الشمس، ومطلعِها، وشمالِها، وعدمِ فتوره، ووجدانه اللَّذةَ في مواصلة الأسفار وتجشم الأخطار ، وركوبه الأوغار والبحار ، ثم إحرازه ذلك الفخار الذي لا يُشَقُّ له غبار لعبرة لأولي الأبصار] (١).

فليقتدِ به الدعاةُ والقادة على نحو ما كان عليه من صلاح وإخلاص ، وتقوى وهمة ونشاط في الدعوة للإسلام ، وإقامة العدل والرحمة والسماحة والفضل بين الرعية ، حتى تَعْمُر الدنيا بالخير والنماء والنصر والأمن والسكينة والطمأنينة .

سبب تسميته بـ (ذي القرنين) :

[قال الزهري(٢): وإنما سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس – أي طرفها – من مغربها ، وقرنها من مطلعها .

---

(١) محاسن التأويل المسمى تفسير القاسمي للإمام محمد جمال الدين القاسمي ، ج ١١ / ٨٨ ، ط٢: بيروت ، دار الفكر ، ط : القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية (د. ت) .

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (أبو بكر)– ٥٨ – ١٢٤هـ / ٦٧٨ – ٧٤٢ م- ، محدث حافظ ، فقيه ، مؤرخ ، من أهل المدينة ، نزل بالشام ، واستقر بها ، وتوفي بشعب آخر حد

واختار الزجاج[١] هذا القول ، فقال يجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سمي " ذا القرنين " لأنه بلغ قطري[٢] الأرض – طرفيها – مشرقها ومغربها] [٣]. وهو الراجح – فيما أرى – لقول الله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾[٤] ، وقوله جل شأنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾[٥].

[وقيل : سمي بذي القرنين لشجاعته ، كأنه ينطح أقرانه ، كما لقب " أَزْدَشِير بَهْمَن " بطويل اليدين ، لنفوذ أمره حيث أراد] [٦].

الحجاز ، وأول حد فلسطين ، له تصنيف في مغازي الرسول ﷺ . [انظر : معجم المؤلفين : أ / عمر رضا كحالة ١٢ / ٢١ ، ط : بيروت – دار إحياء التراث العربي (د. ت) ، والأعلام لخير الدين الزركلي ٧ / ٩٧ .

(١) هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (أبو إسحاق) النحوي ، اللغوي ، المفسر ، أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، له من الكتب : القرآن ، الاشتقاق ، العروض ، مختصر النحو ، خلق الإنسان . توفي عام (٣١١ هـ / ٩٥٣م) . [معجم المؤلفين : أ / عمر رضا كحالة ١ / ٣٣] .

(٢) [القطر: الناحية ، وفي التنزيل العزيز : ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن: من الآية ٣٣] ، والقطر من الإنسان : شقه وجانبه] انظر : المعجم الوسيط ٢ / ٧٧٣ مادة (قَطَرَ) فمعنى أن ذا القرنين بلغ قطري الشمس أي طرفيها شرقاً وغرباً ، ويطلق القطر على البلد ، لأنه يشغل ناحية من الأرض أو جانباً منها .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣ / ١٦٣ (مرجع سابق) .

(٤) سورة الكهف : من آية ٨٦ .

(٥) سورة الكهف : من آية ٩٠ .

(٦) روح المعاني مج ٨ / ١٦ / ٢٤ (مرجع سابق) .

[وقيل: لأنه كانت له غديرتان من شعر، والعرب تسمى الضفيرتين من الشعر غديرتين ، وجميرتَيْن ، وقرنين(١).

وقيل : لأنه كان كريم الطرفين (الأبوين) من أهل بيت ذي شرف .

وقيل: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس(٢)وهو حي] (٣).

أقول: وهذه الأسباب، وتلك التعليلات هي في مجموعها أو برمتها قد تصدق على ذلك العبد الرباني ، والملك الصالح ذي القرنين ﷺ ، وهي أقرب إلى الصواب – فيما أرى ــ ، والأقرب منها إلى الصواب ما ذكره الزهري واختاره الزجاج .

على أن هذه التعليلات رغم وجاهتها واحتمالها ليس لها مستند شرعي من كتاب أو سنة تقوم عليه ، وسندها الوحيد هو :

أ = اللغة .

ب = والعقل .

---

(١) القرن – من معانيه – : الجانب الأعلى من رأس الإنسان ، وحَدّ الرأس وجانبه ، والضفيرة المفتولة من عهن أو شعر أو صوف . [معجم متن اللغة : مج ٤ / ٥٥٠] .

(٢) القرن هنا معناه : الأمة – الجيل – تأتي بعد الأمة ، أو أهل زمان واحد ، أو كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد. [معجم متن اللغة مج ٤ / ٥٥٠] .

(٣) زاد المسير في علم التفسير : للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ٥ / ١٨٣ – ١٨٤ . ط : المكتب الإسلامي .

إذ العقل لا يُحيلها ، فضلاً عن اللغة – كما سبق – ، لكن تحديد علة بعينها كي تصدق على تسميته ﷺ بـ " ذي القرنين " أمر لا يمكن تيقنه ، ويحتاج إلى دليل شرعي من كتاب أو سنة ، ولا دليل .

هـذا .. وقد وردت أقوال أخرى في أسباب تسميته بذلك ، وهي أقوالٌ العقلُ السوي ينبذها، والذوق السليم يمجها ويلفظها ، ولا يجد مشقة في الحكم عليها بكونها من أساطير الأولين ، وخيالات الواهمين ، ومدسوسات الوضّاعين الذين يستخفّون بالعقل الإسلامي ، وهي – غالباً – من الإسرائيليات .

وهاك طرفاً منها :

[=أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى، فضربوه على قرنه فهلك– أي مات– فغبر[1] زماناً، ثم بعثه الله تعالى، فدعاهم إلى الله، فضربوه على قرنه الآخر، فذانك قرناه.

= أو لأنه كان في رأسه شبه القرنين .

= أو لأنه سلك الظلمة، والنور] [2].

والقول في سبب تسميته بذي القرنين لوجود شِبْه قرنين في رأسه هو إهانة في حق ذي القرنين ﷺ، فهو بشر، خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، وبشر صالح مكّنه اللهُ في الأرض مَلِكاً، وحاكماً، وداعياً إلى الحق والخير والعدل، والله عز وجل أكرم من أن يخلقه شبيهاً في شيء بالخراف أو النعاج أو الحيوانات ذوات الأربع أو غيرها ، كيف وقد شرفه الله سبحانه بذكره في قرآنه في معرض الثناء عليه ، والاقتداء به !!! ألا فليفقهوا .

---

(١) ذهب ومضى . [معجم متن اللغة : مج ٤ / ٢٦٢] .

(٢) زاد المسير في علم التفسير : ٥ / ١٨٣ – ١٨٤ ، (مرجع سابق).

المبحث الثاني

معالم الدعوة والقيادة في شخصية (ذي القرنين) ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: معالم الدعوة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

المطلب الثاني: معالم القيادة في شخصية " ذي القرنين " ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

المطلب الأول : معالم الدعوة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية

إن معالم الدعوة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب قامت على :

أولاً : دعوته إياهم إلى الإيمان بالله تعالى(١) ، والاستمساك بتعالم دينه (الإسلام) ، وقيمه وفضائله .

---

(١) الإيمان عند السلف : اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فحقيقة الإيمان عندهم التصديق القلبي بالله تعالى وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبما جاء به رسوله محمد ﷺ مضموماً إليه النطق بالشهادتين ، والعمل بالجوارح فى اتباع الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط فى كمال الإيمان ، فمن صَدَّقَ بقلبه ، ولم يأتمر بكل الأوامر ، ويتجنب كل النواهي ==

ثانياً : الموعظة الحسنة(١) بشقيها من الترغيب والترهيب(٢) .

فهو مؤمن غير كامل الإيمان – وتبعهم فى ذلك أهل السنة والجماعة – [انظر: تيسير صحيح البخارى : أ.د موسي شاهين لاشين ح١٩/١ ط١: القاهرة – مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

وعن أركان الإيمان يقول الله تعالي : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة :٢٨٥]وقوله تعالي فى عجز الآية:"وإليك المصير" إشارة إلى اليوم الآخر، وقد جاء الإيمـــان باليـــوم الآخر صريحاً فى قوله تعالي: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [سورة البقرة:من آية١٧٧]

وقد صحَّ أن جبريل عليه السلام سأل سيدنا رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " ، قال : " صدقت " [أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه – كتاب الإيمان – باب ١ : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالي . رقم (١) وهو من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه عمر رضى الله عنهما] ولما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام قال ﷺ : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " [نفس الحديث والمرجع والموضع] . وفى الحديث الشريف تفسير للإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة.

(١) الموعظة : نصيحة مضمونها أمر مرغَّب فيه أو نهى مرهَّب منه . أو بعبارة أخرى نصيحة ، مضمونها ترغيب وترهيب . [انظر ضوابط العمل الدعوى فى مجالات الموعظة – المجادلة – الحكم على الآخرين : أ.د حسين مجد خطاب ص١٥. ط١٥ : القاهرة – مطبعة الفجر الجديد ١٤٣٦ هـ ٢٠١٤ م ، ولأهمية الموعظة الحسنة في نشر الدعوة حصرها النبي ﷺ في حديث له كأنها الدين كله ، فقال ﷺ : " الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال ﷺ : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " . [أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ب ٢٣ بيان أن الدين النصيحة ، رقم (٥٥/٩٥) ، وهو من حديث تميم الداري ـ ﷺ].

(٢) الترغيب : هو : عملية دفع المدعو إلى ما يحببه فيه ، وإن كان مخالفاً لهواه أحيانا؛ للفوز بالسعادة فى الدارين .

الترهيب : عملية دفع المدعو إلى رفض وترك وتقبيح ما يبغضه فيه ، وإن كان وفق هواه أحيانا للفوز بالسعادة فى الدارين [انظر : ضوابط العمل الدعوي : ص١٧ (مرجع سابق)] .

==

هذا : والعمل الدعوي من فرائض الإسلام، ورتَّب على أدائه الثواب الجزيل، قال تعالى :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران : آية ١٠٤].

[والأمر للوجوب الكفائى أى ولتقم منكم طائفة للدعوة إلى الله للأمر بكل معروف ، والنهى عن كل منكر] انظر صفوة التفاسير : أ.د محمد على الصابونى ٢٢٢/٢ بتصرف ، ط: ٤ بيروت — دار القرآن الكريم ١٤٠٢هـ - ١٩٨١.

وفى تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثيرﷺ: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه ـــ أي فى حدود ما يعرف من أمور الدين معرفة يقينية — [ج١ / ٢٩٠ ، (مرجع سابق)] .

وقد ثبت فى صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" [كتاب: الإيمان ، باب:٢٠ بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، رقم (٤٩) .

وعن ثواب القيام بالدعوة إلى الله تعالى أمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر ، يقول النبي ﷺ : "فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ". [أخرجه الإمام الترمذي في سننه ـــ كتاب الفتن ـــ باب٧١ برقم (٢٢٥٨)، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ، وهو من رواية أبي حذيفة ﷺ].

الفتنة بالأهل تقع بالميل إليهن أو عليهن في القسمة والإيثار حتى في أولادهن ، ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن ، وبالمال يقع الاشتغال به عن العبادة لله أو بحبسه عن إخراج حق الله ، والفتنة بالأولاد تقع بالميل الطبيعي إلى الولد ، وإيثاره على كل أحد ، والفتنة بالجار تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق ، وإهمال التعاهد ، و تخصيص الصلاة وما ذكر معها من الصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتكفير دون سائر العبادات، فيه إشارة إلى تعظيم قدرها [انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري ٦ / ٤٤١ — ٤٤٢ ، ط١ : بيروت ـــ دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م]

==

يقول الله تعالى : ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (١)

والدعوة إلى الله تعالى هي رسالة الأنبياء والرسل سلام الله عليهم من لدن آدم عليه السلام وحتى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ، يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل : آية ٣٦] .

وقال جل شأنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

فالدعوة إلى الله تعالى وتوحيده ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة قديمة قدم البشر ، وكما كلف الله تعالى بها رسله وأنبياءه كلف بها كذلك جماعة من أمة كل رسول يعاونونه في رسالته حال حياته ، ويقومون مقامه في الدعوة بعد وفاته .

كما كلف بها الملوك المسلمين في كل أمة ؛ لأن دعوتهم تكون أكثر تأثيراً في الرعية من غيرهم، وأسرع في استجابتهم لهم؛ لأنه بجانب أنهم ملوك يملكون السلطة التنفيذية المفترضُ فيهم ملكيتهم للزاد الدعوي من العلم والهدى،قال تعالى:﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج :٤١] .

وذو القرنين ﷺ واحد من أولئك الملوك المؤمنين بالله في زمانه ، ذَلّلَ ملكَه وقيادته وسلطانه وعلمه للدعوة إلى الله تعالى ، وتوحيده ، والامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه ، والتمكين لها .

(١) سورة الكهف : الآيات ٨٥-٨٨ .

بيان مراد الآيات الكريمات :

تفيد الآيات الكريمة ما يلي :

[= أن ذا القرنين ﷺ أخذ بالأسباب حسب سنة الله تعالى ، واتخذ طريقاً من الطرق التي تؤديه إلى مراده ، فوصل إلى نهاية المعمور من الأرض في زمنه من جهة المغرب، التي ليس بعدها إلا البحر المحيط ، وهو بحر الظلمات ، أو المحيط الأطلسي، وهناك وجد الشمس تغرب في عين كثيرة الحمأة وهي الطين الأسود(١). ووجدها تغرب في ماء وطين حسب ما شاهد لا حسب الحقيقة ، فإن الشمس أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض ، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط ، وهي في الحقيقة تغيب أو تغرب وراء البحر. ووجد عند تلك العين الحارة ذات الطين قوماً من الأقوام] (٢).

وكانوا قوماً كفاراً دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى إيماناً مقروناً بالعمل الصالح ، مستخدماً معهم كداعية الأساليب القولية من الترغيب والترهيب .

وهنا انقسموا إلى فريقين :

= فريق استجاب لدعوته ، فآمن بالله تعالى ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيره وشره (٣)، وقام بما يترتب على الإيمان من الأعمال الصالحة .

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج أ.د / وهبة الزحيلي ج ١٦ /٢٤ ط١: بيروت – دار الفكر المعاصر ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

(٢) صفوة التفاسير :أ.د/ محمد على الصابونى ٢٠٤/٢ –٢٠٥ ط:٤ : بيروت دار القرآن الكريم ١٤٠٢ هـ –١٩٨١ م .

(٣) مجمل الإيمان بالله تعالي هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالي حقٌ ، وأنه واحد لا شريك له ، وأنه سبحانه متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص، وأنه سبحانه هو المستحق لأن نعبده، ونطيعه.

==

= وفريق بقي على كفره ، وإصراره على اقتراف المعاصي ، والإفساد في الأرض .

ولما لم تُجْدِ مع هذا الفريق الثاني الدعوةُ القولية بما تضمنته من أساليب ترغيبية وترهيبية خيَّرَه الله تعالى بعد أن أدى ما وجب عليه من دعوتهم بين استخدام الأساليب الترهيبية العملية بتعذيبهم بالقتل أو الأسر كملك يتمتع بالسلطة التنفيذية ويملكها ، فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(١) ، وبين أن يمهلهم فترة أخرى من الزمن لتكرير الدعوة عليهم ، بما تحتويه من أساليب القول ترغيباً وترهيباً ... ، لعلهم يؤمنون ويصلحون ، فاختار ﷺ الاختيار الثاني الممثل في الإمهال لدعوتهم ، بحيث من يصر منهم على الكفر بعد

ويجمل الإيمان بالملائكة هو : الاعتقاد الجازم بوجودهم ، وأنهم مخلوقون من نور ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

ويجمل الإيمان بكتب الله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتبا مشتملة على هَدْي العباد ، وبيان ما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، وأنها وحيُ الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام ، وأنها حقٌّ مصدَّق من عند الله .

ويجمل الإيمان بالرسل عليهم السلام هو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى توحيده تعالى، ويدلهم على كل خير في دنياهم وآخرتهم، ويحذرهم من كل شر في دنياهم وآخرتهم .

ويجمل الإيمان باليوم الآخر هو: الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر به الله تعالى ، وأخبر به رسوله ﷺ ، مما يكون بعد الموت ، ويشمل فتنة القبر ، وما بعد ذلك من البعث والحشر والحساب وأخذ الصحف والميزان والصراط والجنة والنار ... إلخ .

ويجمل الإيمان بالقدر هو: التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره[انظر: البيان في أركان الإيمان : الشيخ / مجد مكي ، ص : ٢٤ – ٢٥ ، ط١ : بيروت ، دار البشارة الإسلامية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م] .

(١) يزع : أي يمنع ، والمراد يمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن ، وما فيه من الوعيد الأكيد ، والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع. [تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٣ / ٥٩ ، ط: القاهرة – مكتبة دار التراث (د.ت)].

ذلك فلا عذر له ، ويُعذّب بالقتل أو الأسر في الدنيا ، وهو ما يسمى بالترهيب العملي ، بجانب العذاب في الآخرة .

ومن يستجيب منهم فيؤمن، ويعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، عاصماً نفسه ، وماله، ويلقى من التكريم ، والتقريب ما يتناسب مع حاله ، وهو ما يسمى بـــ " الترغيب العملي " التابع أو المترتب على السلطة التنفيذية ... ، فضلاً عن التكريم الأخروي .

جاء في التفسير الوسيط :

["ووجد عندها قوماً فدعاهم ذو القرنين إلى عبادة الله تعالى وحده ، فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، فخيره الله تعالى فيهم ـــ أي فيمن أصر على الكفر منهم ـــ فقال : ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾](١)

وفي التفسيرالمنير:[وجد ذو القرنين ﷺ في أقصى المغرب عند تلك العين الحمئة قوماً كفاراً وأمة عظيمة من بني آدم–كثيرة العدد– فقلنا له عن طريق الإلهام، أو على لسان ملك أخبره بذلك: يا ذا القرنين: أنت مخير فيهم بين أمرين :

إما أن تعذبهم بالقتل إن أصروا على الكفر .

وإما أن تحسن إليهم، وتصبر عليهم بدعوتهم إلى الحق والهدى والرشاد، وتعليمهم الشرائع والأحكام، فاختار الإمهال والدعوة إلى الله تعالى، وأقام فيهم مدة](٢) لهذا الهدف ، وأهداف أخرى .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/محمد السيد طنطاوي ١٤١/١٥ باختصار ، ط: ١٤٠٤ هـــ - ١٩٨٤م (د .م) .

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج أ.د/ وهبة الزحيلي ٢٥/١٦، ٣٠ بتصرف (مرجع سابق) .

وبيان ذلك : [أن القرآن حكى عنه في الجواب ما يدل على سلامة تفكيره ، فقال لبعض حاشيته ، أو قال في الرد على تخيير الله تعالى له في شأن هؤلاء القوم : أما من ظلم نفسه بالإصرار على الكفر والفسوق والعصيان فسوف نعذبه في هذه الدنيا بالقتل ؛ لأن العقوبات الدنيوية شرعت لحفظ توازن المجتمع ، وردع من لا يرتدع بالموعظة .

ثم يرد هذا الظالم لنفسه إلى ربه سبحانه فيعذبه في الآخرة عذاباً نكراً فظيعاً وهو عذاب جهنم(١). وإنما كان عذاب الله في الآخرة نكراً، لأننا لا نعرفه، وفوق مداركنا وإمكاناتنا] (٢).

[وفي قوله تعالى جل شأنه : وإما أن تتخذ فيهم حسناً " إيحاءً له باختيار أسلوب الترغيب على أسلوب الترهيب ، وذلك يفهم من خلال معنى " الاتخاذ " ، وهو ملازمة الشيء والمداومة عليه .

ويلهم هذا الإيحاء أيضاً من قوله " حسنا " لما في هذا اللفظ من المبالغة في الإحسان ؛ لأن الحسن غاية الشيء الحسن](٣) .

[وأما من آمن منهم بالله ووحدانيته وصدق بدعوتي ، وعمل صالحاً مما يقتضيه الإيمان ، فجزاؤه الجنة ، وسنقول له من أمرنا يسرا اليوم ، فلا نغلظ له في القول ، بل نقول له

---

(١) التفسير الوسيط : ١٥ / ١٤٢ ، بتصرف يسير (مرجع سابق) .

(٢) تفسير الشعراوي : للإمام محمد متولي الشعراوي ١٤ / ٨٩٨٤ ، ط ١ : القاهرة ، مطابع أخبار اليوم (د .ت)

(٣) قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل ، أ.د / محمد بكر إسماعيل ، ص : ٣٠٨ ط : ٢ ، القاهرة – دار المنار ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

القول الطيب ، ونيسر له أموره ونسهلها ، ولا نكلفه ما يشق عليه ويرهقه ، ليرغب في دين الله ، وفي أوامره من صلاة وصيام وزكاة وخراج ونحوها

فلا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل اليسير] (١) كي يثبت على إيمانه ويزداد...

وفي تفسير البحر المحيط [خيره الله بين تعذيبهم ، ودعائهم إلى الإسلام .

فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم ، فقال : " أما من دعوته فأبى إلا الإبقاء على الظلم وهو الكفر هنا ، وما يعقبه من فساد وإفساد ، فذلك هو المعذَّب في الدارين .

وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى ، وهي الجنة .

وأتى بحرف التنفيس في " فسوف نعذبه " لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه إلى الإيمان ، وتأبيه عليه ، فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم ، بل يدعوهم ويذكرهم ــ أولاً ــ ، فإن رجعوا وإلا فالقتل] (٢) .

---

(١) التفسير المنير ١٦ / ٢٥ (مرجع سابق) ، وانظر : فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير للإمام / محمد بن على بن محمد الشوكاني مج ٣٠٨/٣، ط: بيروت، دار المعرفة (د.ت) .

(٢) تفسير البحر المحيط : للإمام / محمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الأندلسي ٦ / ١٥٢ بتصرف يسير ، ط١ : بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

وفي تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي(١) : [قوله : " فسوف نعذبه " يعطينا إشارة إلى المهلة التي سيعطيها لهؤلاء ، مهلة تمكنه أن يعظهم ، ويفهمهم مطلوبات دين الله](٢) ؛ لأن قوله " فسوف " حرف تسويف (تأخير) يفيد معنى الإمهال مدة زمنية ، ولو آثر الاختيار الأول وهو التعذيب بالقتل أو الأسر لعبر بحرف " الفاء " الذي يفيد الترتيب والتعقيب ، وقال : " أما من ظلم فنعذبه " .

أقول :

وما أحوجَ الأمةَ العربيةَ والإسلاميةَ اليوم إلى دعاة نجباء أكفاء لديهم من العلم والحكمة والرحمة والإحسان والالتزام والشعور بالمسئولية (حقوقاً وواجبات) مثل الداعية ذي القرنين ﷺ ، بحيث تثمر دعوتهم في الأمة ما يلي :

١- الاعتقاد بواحدانية الله عز وجل وإفراده بالعبادة ، والاعتقاد بكل ما جاء به دينه من وجوب الإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ... وغير ذلك .

---

(١) ولد الإمام محمد متولي الشعراوي في ١٩١١/٤/١٥م بقرية دقادوس إحدى مدن الدقهلية بجمهورية مصر العربية ، وكان والده يعمل بالزراعة ، وحفظ القرآن الكريم في العاشرة ، وجوّده في الخامسة عشرة من عمره ، ودخل معهد الزقازيق الابتدائي الأزهري ثم المعهد الثانوي .
ذهب الشعراوي في رحلة للحج تابعة للأزهر وهو طالب عام ١٩٣٨م ، وتخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤١م ، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م . توفي يوم ١٧ من إبريل عام ١٩٩٨م بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات، أبرزها : تفسير القرآن الكريم – المنتخب من تفسير القرآن الكريم – الأدلة المادية على وجود الله – معجزة القرآن [انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء: لنخبة من أعضاء ملتقى أهل الحديث٦/٣٢٥].

(٢) تفسير الشعراوي١٤/٨٩٨٤ (مرجع سابق).

٢- تعريف الناس بما لله تعالى من الكمالات المطلقة ، وبما هو منزه عنه من كل نقص وعيب ...

٣- تعريفهم بالحلال ليؤدوه ، ويفعلوه ، وبالحرام ليجتنبوه ، وبالمثل والقيم ليتخلقوا بها ، وبكل ما من شأنه أن يُقَوِّمَ فكرَهم ، ويهذب سلوكهم ، ويزكي العلاقة فيما بينهم وبين خالقهم ، وأنفسهم ، وبين بعضهم البعض ، بل وبين الكون كله ، وما يمثله ذلك الكون من ساحة للتدبر والنظر لما يحمله من دلائل على وجود الله ووحدانيته ، وتفرده بكل صفات الكمال المطلق ، بحيث تكون هذه الأمة في غالبيتها أمة ربانية ، تعبد الله وتوحده وتمجده ، وتقيم شرعه في جنبات المعمورة، وتعمر الكون بنهضة قوامها الإيمان والعمل الصالح والمثمر والنافع، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) وقوله تبارك اسمه ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢) .

٤- تحقيق الخير لهم في العاجل والآجل ، والفوز برضا الله تعالى والجنة .

٥- على أن ذلك لن يتحقق للدعاة إلا إذا نظروا إلى الدعوة الإسلامية على أنها رسالة ، ورسالة شاقة قام بها صفوة خلق الله تعالى من رسله وأنبيائه ، وأنها رسالة تحتاج إلى تفرغ ، وجهد متواصل مؤَسَس على الإخلاص ، والعلم ، والسلوك الرشيد .

أما إذا اعتبروا الدعوة مجرد وظيفة يؤدونها كفاء أجر يتقاضونه وفقط ، فهيهات ثم هيهات أن تثمر دعوتهم شيئاً .

---

(١) سورة الذاريات : آية : ٥٦ .

(٢) سورة هود : من الآية ٦١ .

وأقول أيضاً :

إن إيثار العبد الصالح ، والداعية ذي القرنين ﷺ الاختيارَ الثانيَ المتمثلَ في الإمهال للدعوة ينبئ عن طبيعة في شخصيته ــ كما أسفلت ــ هي : الحكمة والسماحة والرحمة والإحسان حقيقة ، خصوصاً وأنه داعية في موقع الحاكم والقائد والسلطان ، ذلك أن الأصل في الدعوة هي اللين والرفق بالمدعوين ، قال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١) .

والقول اللين إذا كان في موضعه فهو مقتضى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن الواردة في قوله الله تعالى لنبيه الخاتم ﷺ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢)

ومن هذا المنطلق كان ﷺ حريصاً على هداية قومه ، رحيماً بهم ، وقد أرسل إلى الناس كافة ، قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣)

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٣) التوبة: الآية ١٢٨.

ويقول ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ : " لِأَنْ يَهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم " (١) .

[قوله ﷺ : " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم " هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظم منه ، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام ، وإلا فذرَّةٌ من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت .

وفي هذا الحديث : بيان فضيلة العلم ، والدعاء إلى الهدى ، وسن السنن الحسنة](٢).

ويعلمنا النبي ﷺ هذا المبدأ عندما يطلب الصحابة منه أن يدعو بهلاك إحدى القبائل فيقولون : " يا رسول الله ادع الله أن يهلك دوساً ، فيقول عليه الصلاة والسلام " اللهم اهد دوساً "(٣).

وأرى أن النبي ﷺ آثر الدعاء لهم بالهداية على هلاكهم لأسباب كثيرة ، أهمها :

= أن هدايتهم تعني نجاح الداعية في مهامه المنوطة به ، وفيه تعليم النبي ﷺ الدعاةَ الرفقَ بمدعويهم ، والحرص عليهم ، وحب الخير لهم .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير - باب : فضل من أسلم على يديه رجل ، وهو من حديث سهل بن سعد ﷺ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي للإمام النووي: مج١٥/١٧٨-١٧٩،ط١: القاهرة - دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة، باب:من فضائل، غفار وأسلم وجهينة وأشجع رقم الحديث (١٩٧/٢٥٢٤) وهو من حديث أبي هريرة - ﷺ .

= أن هدايتهم تثمر نجاتهم من النيران، وظَفْرَهم بالجِنان، وفيه من الخير لهم ما لا يُحْصَى ولا يُقَدَّر .

= أن هدايتهم يعقبها ازدياد في أعداد المسلمين وصفوفهم ، واكتساب لأتباع جُدُدٍ يُنافحون عن ذلك الدين العظيم ، مما يُرْهِبُ الأعداء.

= أن إيثار جانب الهداية على غيرها للمدعو جذبٌ للآخرين إلى ساحة الإسلام .

جاء في فتح المنعم:[دَوْس بفتح الدال وسكون الواو هي قبيلة عربية، وهذا الدعاء من رسول الله ﷺ ، وأجاب الله الدعاء ، فجاء حاكم دوس ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا] (١) ، فَلْيَعِ الدعاةُ الفرقَ وَعْياً يُثمر فيهم تنمية الملكة التي يجيدون بها إدارة المواقف وإنقاذها وقت الأزمات ، فيجمعوا ولا يفرقوا ، ويؤلفوا لا ينفروا تأسياً بإمامهم ﷺ .

المطلب الثاني: معالم القيادة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية

تمثلت معالم القيادة في شخصية ذي الملك الصالح والعادل ذي القرنين ﷺ في :

= القضاء على الفساد والمفسدين ، وإقامة دولة العدل ، وصدُّ المغيرين عليها والمعتدين ، وحمايتُها من شرهم .

وبيان ذلك ما يلى :

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم : أ.د / موسى شاهين لاشين ، ص ٥٦٠ – ٥٦١ باختصار ، ط ١ : القاهرة – دار الشروق ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

أنه لما دعاهم إلى الإسلام – كما سبق تفصيله في المطلب الأول – فاستجاب له من استجاب ، وأَصَرَّ على الكفر مِنهم مَنْ أصر ، طبق عليهم مبدأ الثواب والعقاب .

= الثواب للمؤمن الصالح المطيع ، مأمون الجانب ، النافع لمجتمعه ، المعمر لبلده

= والعقاب للكافر والفاسق والخارج عن طاعته ، والمخالف ، والمخرب الذي يمثل لمجتمعه تهديداً في حياته وعرضه وماله ..

قال تعالى على لسان عبده ذي القرنين ﷺ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾(١). ولا غرو [فالعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر. والإحسان : أن يقابل الخير بأكثر منه ، والشر بأقل منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾(٢)](٣)، ولهذا صَدَّرَ النبيُّ ﷺ بعضَ أحاديثه الشريفة بالإمام العادل لعموم نفعه ، ولأنه بصلاحه تصلح الرعية ، وبفساده تَفْسُد .

---

(١) سورة الكهف : ٨٧ – ٨٨ .

(٢) سورة النحل : من الآية : ٩٠ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص : ٣٢٥ ، تحقيق أ / محمد سيد كيلاني – كتاب العين ، ط: بيروت – دار المعرفة (د .ت) .

عن أبي هريرة(١) ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه "(٢) .

والشاهد هنا : قوله ﷺ "الإمام العادل"[وهو صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه، ويؤيده حديث:"إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا(٣) "(٤) ، وأحسن

---

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، وكان في الجاهلية يسمى عبد شمس ، أسلم هو وأمه سنة سبع من الهجرة ، وأخذ القرآن عرضاً عن أبي بن كعب ، وهو أشهر من سكن الصفة ، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في الدنيا، وقال الحافظ الذهبي : أبو هريرة مروياته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وكان كثير العبادة والذكر ، حسن الأخلاق ، كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء : جزء للقرآن ، وجزء للنوم ، وجزء يتذكر فيه حديث رسول الله ﷺ ، وكان حافظ الصحابة ، وأكثرهم رواية . [انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : للحافظ : أبي نعيم الأصبهاني مج ١ / ٣٧٦ . وطبقات الحفاظ : للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ص ١٧ ط١ : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب : للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ١/٦٣ ط: بيروت – دار الآفاق الجديدة (د. ت)] .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـــ كتاب الأذان ـــ باب : ٢٦ : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، رقم (٦٦٠) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو- كتاب الإمارة- باب٥- فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية. رقم (١٨/١٨٢٧).

(٤) والمقسطين: العادلين، وعلى منابر من نور"جمع منبر، وسمي منبراً لارتفاعه، ويحتمل أن يكون كناية عن المنازل الرفيعة، قوله ﷺ"عن يمين الرحمن" قال القاضي عياض: المراد بكونهم على اليمين حالة حسنة

ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله تعالى ، بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط ، وقدمه في الذكر لعموم نفعه ، والمراد بظل الله : كرامته وحمايته] (١) .

[وقول ذي القرنين ﷺ كما جاء في القرآن الكريم : ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها ، وإيجابيتها ، وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه .

ومن الأسف أن يعكس هذا القول السديد ، والحكم الرشيد ، فيصبح أهل الظلم هم المكرمين لدى الحكومات ، وأهل الإيمان والاستقامة هم المهانين] (٢) ، [هذا هو قانون العدل ، وهو أن يجازى المسيء على إساءته ، والمحسن بإحسانه] (٣) [إنها سياسة العدل

والمنزلة الرفيعة، يقال: أتاه عن يمينه إذا جاءه من الجهة المحمودة، والعرب تنسب الفضل المحمود والإحسان إلى اليمين، وضده إلى اليسار"الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"أي:وما كان لهم عليه ولاية، أي: يعدلون قولاً وفعلاً".

وفيه: فضيلة الأمير العادل، وزجر الولاة عن المشقة على الرعية[انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم أ.د/موسى شاهين لاشين ٤٣٥/٧-٤٣٦باختصار،ط١:القاهرة دارالشروق١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م].

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ٢ /١٦٩ – ١٧٠ ط١ : القاهرة ، دار الريان ١٤٠٧ هـ – ١٩٨١م .

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : للشيخ العلامة – أبي بكر جابر الجزائري ٢ / ٦٧٢ ط٢ : القاهرة ، دار راسم ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

(٣) زهرة التفاسير: للإمام محمد أبو زهرة ٤٥٨٠/٩ ط١ : القاهرة – دار الفكر العربي (د.ت) .

التي تورث التمكينَ في الحكم والسلطة ، وفي قلوب الناس الحبَّ ، والتكريمَ للمستقيمين ، وإدخالَ الرعبِ في قلوب أهل الفساد والظلم] (١).

[لقد كان عند ذي القرنين ﷺ من السياسة الشرعية ما يستحق به المدح والثناء ، لتوفيق الله إياه لذلك ، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين ، والأولياء العادلين العالمين ، حيث وافق مرضاة الله تعالى في معاملة كل أحد بما يليق بحاله] (٢).

[قال قتادة(٣) : قضى فيهم بقضاء الله تعالى ، وكان عالماً بالسياسة] (٤) .

[ولقد أقام ذو القرنين ﷺ في أقوام الغرب ، وأقام ما شاء الله له أن يقيم لتثبيت العدل ، ودعم أركانه ، وإقامة بنيانه .

---

(١) مباحث في علوم القرآن أ.د/مصطفى مسلم ص:٣٠٥ ط٣:دمشق- دار القلم ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للعلامة الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٣/٢٠٢ – ٢٠٣ .ط: المدينة المنورة – مكتبة الأوس (د.ت) .

(٣) هو التابعي قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز. وقيل: قتادة بن دعامة بن عُكابة، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين ، أبو الخطاب السَّدوسي البصري الضرير الأكمه ، روى عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وعكرمة مولى ابن عباس، والحسن البصري، وعدد كثير – ﷺ – ، وروى عنه أئمة الإسلام : أيوب السختياني ، والأوزاعي ، وشعبة بن الحجاج ، وشيبان النحوي وأمم سواهم ، وهو حجة بالإجماع ، ولم يتوقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه . قال يحيى بن معين : ولد قتادة سنة ستين ، وكان من سدوس ، وعن ابن عُلَيَّة : توفى قتادة سنة ثماني عشرة ومائة . [سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٥ / ٢٦٩ وما بعدها ط١٠ : بيروت – مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م] .

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : للإمام / أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ٣/١٦٥ . ط١: بيروت – دار الكتب العلمية ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م .

ثم اتجه المصلح العادل من ذلك إلى الشرق ، ولذا قال : " ثم أتبع سبباً "(١) و" ثم " هنا في موضعها ؛ لأنها تدل على التراخي ، إذ إنه ﷺ حكم أمداً ليس بقصير في المغرب ، فإن تثبيت دعائم العدل في النفوس يحتاج إلى زمن، ليستقر ويبقى ويصبح عادة طيبة في الأقوام](٢) .

عبرة وعظة :

وهذه عبرة وعظة للحكام من موقف الملك الصالح ، والحاكم العادل ذي القرنين ﷺ تجـاه أهل المغرب ممن أصر منهم على الكفر بعد أن دعاهم للإسلام ، وهي [أن من قدر على أعدائه وتمكن منهم ، فلا ينبغي له أن تسكره لذة السلطة ، يسوقهم بعصا الإذلال ، وتجريعهم مرارة الاستعباد والنكال ، بل يعامل المحسن بإحسانه ، والمسيء بقدر إساءته] (٣) وإن عفا عن المسيء كان أفضل ما لم يَضُرَّ ...

تفريعات للآيتين الكريمتين :

يقول الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى معلقاً على ما نص عليه التنزيل الحكيم من القانون الذي سار عليه الملك الصالح العادل ذي القرنين ﷺ :

[وهذا يضع لنا أساس عملية الجزاء التي هي ميزان المجتمع ، وسبب نهضته ، فمجتمع بلا جزاءات تُثِيب المُجِدَّ ، وتعاقب المُقَصِّرَ مجتمع ينتهي إلى الفوضى والتسيب ، فإن أمن الناس العقاب تكاسلوا ، وما تعانيه بعض الدول الآن من سوء الإدارة راجع إلى ما في المجتمع من

---

(١) سورة الكهف : آية ٨٩ .

(٢) زهرة التفاسير : للإمام / أبي زهرة ٩ / ٤٥٨٣ ، (مرجع سابق) .

(٣) محاسن التأويل المسمى تفسير القاسمي: للعلامة / محمد جمال الدين القاسمي ج ١١ / ٨٨ . ط: القاهرة – دار إحياء الكتب العربية (د.ت) .

أشخاص فوق القانون ، لا نستطيع معاقبتهم ، فيتسيب الآخرون ، ولذلك نرى أحياناً المراتب والجوائز يظفر بها من لا يعمل ، ويظفر بها من يتقرب ويتودد ويتملق(١) وينافق ، ولهؤلاء أساليبهم الملتوية التي يجيدونها ، أما الذي يَجِدُّ ويعمل ويخلص فهو منتهك القوى ، مشغول بإجادة عمله وإتقانه ، لا وقت لديه لهذه الأساليب ، فهو يتقرب بعمله وإتقانه ، وهذا هو الذي يستحق التكريم ، ويستحق الجائزة .

ولك أن تتصور مدى الفساد والتسيب الذي تسببه هذه الصورة المقلوبة والمعوجة .

إذن فميزان المجتمع وأساس نهضته :﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (٢) .

فما أجمل أن نرصد المكافآت التشجيعية ، والجوائز ، وتقام حفلات التكريم للمتميزين المثاليين شريطة أن يقوم ميزان الاختيار على الحق والعدل] (٣) .

وبعد فأقول :

لا شك أن هذه الأمة من أهل المغرب التي دعاها ذو القرنين إلى الإسلام ، والالتزام بما تضمنه من تعاليم وأحكام ، وما أرساه بين جنباتها من دعائم وقيم العدل والرحمة والإحسان ، وقادها إلى ما فيه صلاحها في كل آن ، لاشك أنها أدركت أن الوقت قد حان [لأن تستريح بعد طول عناء ، وأن تجمع شملها بعد طول شتات ، وأن الذي يسوسها رجل يؤمن

---

(١) تَمَلَّقَ:تودد إليه، وتلطف له،وزاد في ذلك عما ينبغي[معجم متن اللغة:مج٥/٣٤٦،مادة : مَلَقَ].

(٢) سورة الكهف : ٨٧ – ٨٨ .

(٣) تفسير الشعراوي ١٤ / ٨٩٨٥ (مرجع سابق) .

بالله الواحد ، ويلتزم بقيم دينه، ويعلم أن الرياسة تكليف لا تشريف، وتبعات لا شهوات ، ومغارم لا مغانم ، وجهاد لا إخلاد ، وتضحية لا تحلية ، وميدان لا ديوان ، وأعمال لا أقوال ، وإيثار لا استئثار] (١) ، فأسلمت له القياد ، وأذعنت له بالسمع والطاعة والولاء ، خصوصاً وأنه في موطن القوة ، وانطلق بهم من مقام العدل والسماحة المؤسسة على الإيمان الذي يصدقه العمل ، وغير ذلك من القيم التي ينشدونها ، وفي أمس الحاجة إليها .

وهذا الذي قيل في أهل المغرب يقال في أهل المطلع ، وأهل الشمال ، فإن الداعية والقائد ذا القرنين ﷺ ، هو هو في شخصه ومنهجه وإصلاحاته بما يتناسب وحال القوم .

قبس من معالم قيادة ذي القرنين ﷺ (إنجازاته) :

هذا وبعد أن استقرت الأمور بين الأقوام ، قضاءاً على الفساد ، وتثبيتاً لأركان العدل، وإقامة لبنيانه [شرع ذو القرنين – كما يقول التاريخ – في إصلاح تلك البلاد ، وعمارتها بمختلف المنشآت النافعة في مجال: الزراعة، والصناعة، والعلم، وغير ذلك

فإنه كان حين ينهض في البلاد يدعو إلى الله ، وجعلها دعوة قائمة على الأخذ بسنن الله تعالى في كل شيء ، فاعتنى بالعلم ، فكان عنده علماء في كل فن من الفنون التي كانت معروفة في ذلك الزمن البعيد ، واعتنى بالصناعة ، فكان عنده صناع مهرة في كل ما عُرِف في زمانهم من أنواع الصناعة .

واعتنى بالجيش ، وآلات الحروب ، وفنون القتال ، فكان أقوى جيش في عصره .

---

(١) الموسوعة الشرباصية أ.د/ أحمد الشرباصي ج٣ / ٢٣١ – ٢٣٣ بتصرف واختصار كبير ط : بيروت ، دار الجيل ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

وكان ﷺ لا يُقبِل على أمر إلا أخذ له عدته ، وأسبابه العلمية ، والفنية ، والمادية التي تَكْفُل نجاحه .

فكان من أجل ذلك كله مصلحاً ، منشئاً ، منتصراً حيثما حَلَّ ، وأينما سار ، وقد أشار القرآن إشارة دقيقة إلى هذا فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾(١) أي آتاه الله تعالى من أسباب النجاح في كل شيء أراده سبباً يصل به إلى مطلوبه] (٢)[لأنه لم يجيء هذه البلاد لاستعباد أهلها ، وتعذيبهم ، والاستيلاء على أوطانهم، لم يجيء باغياً، ولا مستعمراً، بل جاء مصلحاً مبشِّراً بتوحيد الله عز وجل .

وهذا هو الفرق بين المستعمرين ، والمؤمنين ، فالمستعمرون قوم أدنياء ، لا خَلاق لهم ، يهب الله لهم القوة فيسلطونها بلاءاً على الضعفاء من شعوب الأرض ، فيستولون على بلادهم ، ويُذلُّون كرامتهم ، ويَسْجُنون أحرارهم ، أو يقتلونهم .

هذا في الوقت الذي جعل الله تعالى فيه القوة لتكون وسيلة لنشر الفضائل ، وتأييد الحق، وحراسة العدل ، والحرية ، والكرامة ، ولم يجعلها لإذلال عباده الذين كرمهم ، وفضَّلهم على كثير ممن خلق .

أما المؤمنون الأقوياء فإنهم لا يرضون لقومهم إلا أن تكون نعمة للناس ، وسبباً في إسعادهم ، بنور الإيمان والحق] (٣).

---

(١) سورة الكهف : ٨٤ .

(٢) ذو القرنين : أ / محمد أحمد برانق ص ١٧ ، ١٨ ، ط١١ : مصر – دار المعارف (د.ت).

(٣) المرجع السابق : ص ١٥ – ١٦ .

وجملة القول :

= أن ذا القرنين ﷺ اتخذ من قيادته وعلمه مع أهل المغرب وسيلة لدعوتهم إلى الإسلام، وتحقيق مبدأ العدل والرحمة، وإنشاء حضارة قائمة على الإيمان بالله تعالى ، والعمل ، والعمل الصالح المثمر في شتى المجالات ..

= أنه ﷺ جمع في دعوة أهل المغرب بين أمرين :

الأول: ترغيبهم في الإيمان والطاعة مقروناً بالمرغَّب فيه ، وترهيبهم من الكفر والفسوق والعصيان مقروناً بالمرهَّب منه .

الثاني : لكونه قائداً وحاكماً يملك السلطة التنفيذية على مستوى الدنيا في عهده أثاب المؤمن المطيع ، وعاقب الكافر والفاسق، وكان لذلك أثره الإيجابي في استجابة الكثيرين لدعوته ، فهو ﷺ جمع بين القولي من الترغيب والترهيب كداعية ، وبين العملي منهما كملك وقائد ، وهذا من معالم حكمته .

من آثار وثمار عدل الحاكم في رعيته

قيمة العدل محببةٌ إلى النفوس، وآثاره وثماره هي هي في كل زمان ومكان، يُحِسُّ بها كل إنسان أياً كان جنسه أو لونه أو لغته أو موطنه، ويعيش في ظلالها بفطرته، متنعماً بخيراتها ...

ولا شك أن البلاد التي فتحها الملك العادل الصالح ذو القرنين ﷺ ، والشعوب التي حكمها ، ونشر العدل فيها بينهم لا تعدو هذا الإطار ، وهم من جملة الناس .

ومن الآثار والثمار البدهية المترتبة على مقدمة صحيحة هي تحقيق العدالة التي حرص ذو القرنين ﷺ على إرسائها ، وإشادة دعائمها ما يلي :

١ – عاشوا في مأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم واستقرارهم .

٢- تخلقوا بالإخلاص في العمل ، يقيناً منهم أن ثمرة جهدهم لن تذهب سدى في ظل ذلك الحاكم العادل القوي ...

٣- حرصوا على الاستقامة والتحلي بالفضيلة ، ومجانبة الرذيلة ، حيث إثابة المطيع ، ومعاقبة العاصي ، وهو ميزان قوَّمَ به المَلكُ الداعية ذو القرنين ﷺ فكرَ وسلوكَ رعيته ... ، وكال نحوهم في هذا بمكيال واحد دون محاباة أو مجاملة .

٤- اقتدوا بحاكمهم وقائدهم وداعيتهم ذي القرنين ﷺ في تحري العدل فيما بينهم فعدل الزوج مع زوجته وأولاده ، وعدل رئيس العمل مع مرؤوسيه ، والبائع والمشتري ... إلخ .

٥- حُبُّهم الوطنَ ، وشرفُ انتمائهم إليه ، وحرصهم على عمارته ، وسلامته من كل ما يمس أمنه ، ومصيره واستقراره ، والدفاع عنه بكل ثمين وغال ضد أي عدو داخلي أو خارجي .

٦- وحدة الصف والكلمة لدى هذه الشعوب ، وتضافر قواهم وجهودهم حول تحقيق الأهداف الكبرى لبناء أوطانهم مادياً وروحياً .

٧- داعية وقائد هذا شأنه تحبه رعيته ، وتحرص على بقائه ، ودوام مبايعته ، وتجديد الإذعان والولاء له، ذلك أن معالم قيادته مع رعيته قامت على العدل ، أو على تحقيق العدالة بشتى مجالاتها بين الجميع : القوي والضعيف ، الغني والفقير ، الكبير والصغير ، الذكر والأنثى ... إلخ ، مشفوعة تلك العدالة بالرحمة والسماحة والإحسان ، تلك العدالة التي تمثلت في قيامه بحقوق الرعية أينما حل ، وأينما ارتحل ، وهي حقوق ثابتة في الأديان السماوية ، لا تتغير بتغير الأزمان ، ولا بتعاقب الأجيال ، ولا بتبدل الأوطان .

ومجمل تلك الحقوق يتلخص في الآتي :

[١- رعاية المصالح، والذَّوْدُ(١)عن الديار، والذود عن الإسلام بالطرق المناسبة

٢- عدم خيانة الأمة ، أو غشها ، وفي الحديث : " ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة "(٢).

٣- رعاية حقوق الرعية بنفسه، أو العهد بها إلى غيره من الأكفاء : وفي الحديث : " ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة ، والخَلَّةِ(٣) ، والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته ، وحاجته ، ومسكنته "(٤) .

٤- الرفق بالرعية ما استطاع : وفي الحديث " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به"(٥)] (٦)

---

(١) ذاد عن وطنه: حماه ودافع عنه.[يقال: ذاد يذود ذوداً: دفعه وطرده]. المعجم الوسيط: ٣١٧/١ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الأحكام : باب : مَن استُرْعِيَ رَعيةً فلم ينصح ، رقم (٧١٥٠) وهو من حديث معقل بن يسار ﷺ .

(٣) الخَلَّة:بفتح الخاء الحاجة والفقر[انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر:للإمام مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد، الشهيربابن الأثيرج٧٢/٢،ط:بيروت-المكتبة العلمية ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م] .

(٤) سنن الإمام الترمذي : كتاب الأحكام – باب : ما جاء في إمام الرعية – رقم (١٣٣٢) ، وهو من حديث عمرو بن مرة ، قال أبو عيسى : غريب ، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ج ٥٦٥/٢٩، بتحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين رقم (١٨٠٣٣)، قال الشيخ شعيب: صحيح لغيره، ط: بيروت – مؤسسة الرسالة١٤٢١هـ=٢٠٠١م

(٥) صحيح مسلم، الإمام مسلم١٤٥٨/٣ رقم(١٨٢٨)وهو من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها

(٦) خطبة الجمعة والعيد بين التقليد والتجديد: أ.د/بكر زكي عوض، ص: ٧٠ -٧١، ط: القاهرة ، مكتبة رشوان (د .ت) .

ولأنه ﷺ قام بحقوق رعيته قوبل منهم بأدائهم لحقه عليهم ، حيث أعطوه :

[١- حق السمع والطاعة : وقد قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١) .

وعن عبد الله بن مسعود(٢) ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "(٣).

وعن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " إنما الطاعة في المعروف "(٤) .

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، وهو أحد السابقين الأولين ، أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، ولازم النبي ﷺ ، وكان يحمل نعليه ، روى عنه ابناه : عبد الرحمن وأبو عبيدة ، ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين .

[انظر:الإصابة في تميز الصحابة: للحافظ أبي الفضل أحمدبن علي بن حجر العسقلاني٦/٣٧٦،٣٧٤،٣٧٣، باختصار،ط١:القاهرة-مركزهجر للبحوث١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. وانظر:أسد الغابة:لابن الأثير٣/٣٨٤ وما بعدها].

(٣) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأحكام،باب٤:السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية رقم(٧١٤٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الإمارة ـــ باب ٨ : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريها في المعصية رقم (١٨٤٠) .

٢- وجوب احترامه: وفي الحديث " من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله"(١)](٢)

وبهذا تتآلف القلوب، وتتكاتف الجهود في كل زمان ومكان حول هدف واحد،هو: بلوغ الحق، ومعاونة الحاكم ومؤازرته الذي كرس هدفه في تحقيق العدالة والسعادة للرعية .

كما أن هذه الثمار والآثار التي ترتبت على عدل الملك الصالح والقائد ذي القرنين ﷺ تسفر في النهاية عن : تحقيق هيبة الحاكم والدولة ، وبقائها عزيزةً أبيةً يخشى بأسَها القاصي والداني ... ، ولا غرو فالعدل أساس الملك ، والدولة العادلة تبقى ولو كانت كافرة ، والدولة الظالمة تفنى ولو كانت مسلمة ، فكيف بها لو كانت مؤمنةً عادلة !!! .

وإذا كان عدل الحاكم هذا شأنه، فالأمر على النقيض تماماً مع وجود الجور والظلم ، وهنا ندرك مدى مكانة العدل ومنزلته في النفوس كقيمة عند المسلم وغير المسلم .

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ٤ / ٥٠٢ رقم (٢٢٢٤) وهو من حديث أبي بكرة ﷺ ، قال أبو عيسى : حديث حسن غريب.

(٢) خطبة الجمعة والعيد: ص ٦٩ – ٧٠ (مرجع سابق) .

المبحث الثالث

معالم الدعوة و القيادة في شخصية "ذي القرنين" ﷺ لأهل المطلع (المشرق) من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية

يقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ (١).

بيان مراد الآيات في هذا المبحث :

لم يصرح القرآن الكريم أن ذا القرنين ﷺ قاد أهل المطلع " المشرق " ، ودعاهم إلى الإسلام ، وحكم فيهم بما حكم في أهل المغرب ، وبالدستور الذي أعلنه ، ونص عليه القرآن .

فهل هذا يعني أنه لم يَقُدْهم ، ولم يُحَضِّرهم ، ولم يَدْعُهم ؟

هنا انقسم العلماء إلى فريقين :

الفريق الأول – وهم أكثر المفسرين – يقولون : إنه قادهم ، ودعاهم ، وحكم فيهم على نحو ما فعل مع أهل المغرب ، واستدلوا بدليلين :

---

(١) سورة الكهف الآيات : ٨٩ – ٩١ .

الدليل الأول :

= أنهم وجدوا في النظم القرآني ما يؤيد قولهم ، ومنحاهم ، وهو قوله تعالى في معرض الحديث عن أهل المشرق : ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾(١).

فقالوا : إن قوله تعالى : " كذلك " الكاف للتشبيه ، أي مثل ما قاد ودعا ذو القرنين أهل المغرب إلى الإسلام ، قاد ودعا أهل المطلع .

وها هي ذي جملة من أقوال المفسرين – مثالاً لا حصراً - :

ففي تفسير الكشاف: ["كذلك" يعني أن أهل المطلع كفرة مثل أهل المغرب، وحُكْمَهُم مثل حُكمهم في تعذيبه لمن بقي على الكفر، وإحسانه إلى من آمن منهم](٢).

وفي محاسن التأويل : [" كذلك " أي أمْرُ ذي القرنين في أهل المطلع كأمره في أهل المغرب من الحكم المتقدم] (٣).

وفي صفوة التفاسير : [" كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً " أي كذلك فعل بأهل المشرق ، من آمن تركه ، ومن كفر قتله ، كما فعل بأهل المغرب] (٤).

---

(١) سورة الكهف من آية : ٩١ .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام / أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي مج ٢ / ٤٩٨ ، ط: دار الفكر ١٩٨٣.

(٣) محاسن التأويل : للإمام القاسمي ١١/٤١٠١، ط: القاهرة – دار إحياء الكتب العربية (د.ت) .

(٤) صفوة التفاسير: للشيخ / محمد علي الصابوني مج٢ / ٢٠٥ ، ط ٤ : بيروت – دار القرآن الكريم١٤٢٠هـ/ ١٩٨١م ، وينظر : تفسير روح البيان : للشيخ / إسماعيل حقي مج ٥ / ١٩٥ ، ط : بيروت دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) .

[ولقد أعلن ذو القرنين من قبلُ دستوره في الحكم – مع أهل المغرب – ، فلم يتكرر بيانه هنا ، ولا تصرفه – من الفتح والدعوة إلى الإسلام – في رحلة المشرق ، لأنه معروف من قبل] (١)، فلم يُذكَر هنا للعلم به ، ولدلالته عليه مع أهل المغرب .

فالقرآن إذن ذكر أن ذا القرنين دعاهم، وقادهم، وحضَّرهم، ولكن بأسلوب موجز في كلمة واحدة عن طريق القياس أو التشبيه حيث قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ﴾ في قوله جل شأنه ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾(٢)، وهو من مظاهر البلاغة القرآنية، والبلاغة الإيجاز .

الدليل الثاني :

قول الله تعالى بعد أن فرغ ذو القرنين من رحلته الثانية في المشرق ، وشرع في رحلته الثالثة إلى أهل الشمال : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾(٣).

[و" ثم " هنا للترتيب والتراخي ، والتراخي كان فيما بذله ﷺ من زمن في تبيين حال أولئك الذين يعيشون على الفطرة ، ولم يجعل الله تعالى بينهم وبين الشمس ستراً في ظل ، ولا حرور .

وبعد مُضِيّ زمن في هذه الإصلاحات التي تجعلهم أناساً يعرفون ما لهم ، وما عليهم ، أردف سبباً آخر لواجبات أخرى ، فصار حتى بلغ بين السدين ..] (٤).

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي : ٣٠٧ (مرجع سابق) .

(٢) سورة الكهف : ٩٠ .

(٣) سورة الكهف : ٩٢ .

(٤) زهرة التفاسير : للإمام / محمد أبو زهرة ، مج ٩ / ٤٥٨٤ (مرجع سابق).

[والله تعالى إذ كلف ذا القرنين بهذا التكليف ، كلفه به وهو له أهل ، حيث منحه سبحانه من القوى العقلية ، والنفسية ، والعلمية ، ومن الطاقة ، والقوة ، والسلطان ، ما يقتدر به على تنفيذ ، وإقامة ما كُلِّف به على خير وجه .

وإن ما استقبل ذا القرنين من أهل المطلع كان شديداً ، وذلك لجهلهم ، وبداوتهم ، – حيث تعسُّرُ فهمهِم لما يريد منهم – .

لذا قال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾(١) أي أحطنا بما له ، والواجبات عليه ، وكفايته لها ، وما تستلزمه حال الأقوام من واجبات على الحاكم يقوم بها ، ولا يتوانى عنها ، أحطنا علماً دقيقاً بذلك ، وهو علم الخبير العليم .

وقد بيَّن سبحانه أنه سار في طريقه محتملاً أعباء ما حمله عبء العدالة ، والدعوة ، والإصلاح ، فقال سبحانه " ثم أتبع سبباً " .

وهكذا يهب الله تعالى البشرية في بعض الأزمان رجلاً صالحاً ، ينشر العدل ، والإصلاح ، ويقاوم الفساد، كما يختبر– سبحانه – الناسَ ببعض رجال الفساد، ليظهر الخبيث من الطيب] (٢).

وأقول : ما أحوج المسلمين اليوم إلى حاكم مسلم شجاع ، قوي ، عالم ، صالح ، عادل مثل ذي القرنين ﷺ يحكم ويدعو مستعيناً بربه جل وعلا على تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين، ويدعو إليه غير المؤمنين ، ويقضي على الفساد والطغيان ، وينشر العدل والأمان بين الأنام ..

---

(١) سورة الكهف : من آية ٩١ .

(٢) زهرة التفاسير : مج ٩ / ٤٥٨٣ ، ٤٥٨٤ بتصرف واختصار .

الفريق الثاني :

وذهب هذا الفريق إلى أن ذا القرنين لم يفعل مع أهل المطلع شيئاً ، بل تركهم وشأنَهم ، ولو قادهم وحكم فيهم، ودعاهم إلى الإسلام لذكره القرآن ، وبينه كما كان الشأن مع أهل المغرب.

ولعل وجهتهم في ذلك : أن الجامع في التشبيه بين أهل المطلع وأهل المغرب في قوله تعالى : " كذلك " هو مطلق إحاطة علم الله تعالى بحال ذي القرنين وجيشه في الرحلتين، وهو ما نصت عليه بقية الآية الكريمة ذاتها: ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ (١).

جاء في "تفسير القرآن العظيم"(٢) الوجه الثاني لتفسير الآية كالآتي:[وقوله "كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا" علماً أي نحن مطلعون على جميع أحواله ، وأحوال جيشه ، لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرّقت أممهم ، وتقطعت بهم الأرض ، فإنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء] .

وقد مال الأستاذ / عبد الكريم الخطيب(٣) رحمه الله تعالى في تفسيره إلى هذا الرأي ، وأضاف إلى ما قالوه كلاماً يؤازرهم .

---

(١) سورة الكهف من آية : ٩١ .

(٢) للإمام ابن كثير ٣ / ١٠٣ (مرجع سابق).

(٣) هو عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب ، مفكر إسلامي ، ومفسر ، ولد في قرية " الصوامعة غرب " التابعة لمركز طهطا بصعيد مصر ، وتعلم في كتاب القرية . من مؤلفاته : " التفسير القرآني للقرآن " ٦ مج (حوالي ٨٠٠٠ ص) ، القصص القرآني — التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته — الدين ضرورة حياة — القضاء والقدر بين الفلسفة والدين — المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن — النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء — قضية الألوهية بين الفلسفة والدين . [انظر ==

يقول رحمه الله : [أما مطلع الشمس فلم يصف القرآن الكريم طبيعة الأرض التي تطلع منها ، وإنما وصف طبيعة الجماعة الإنسانية التي كانت تقيم هنالك ، فقال سبحانه : ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (١).

إنهم على حال من البدائية، لا يرتفعون كثيراً عن مستوى الحيوان ، فهم عراة ، أو شبه عراة ، لا تُكنّهم بيوت مصنوعة ، ولا تسترهم ثياب منسوجة ، يأوون إلى الكهوف والمغارات(٢). .

ولهذا اختلف موقف ذي القرنين من الجماعة البشرية هنا ، وهناك .

فالجماعة التي وجدها تغرب عند مغرب الشمس كانت على مستوى من الفهم ، والإدراك ، وفيها ما يؤهلها لأن تتحمل التكاليف ، وتُدْعَى إلى الإيمان بالله تعالى .

ولهذا وقف عندها ذو القرنين، وامتثل ما أمره الله تعالى فيها بقوله سبحانه : ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٣).

: تكملة معجم المؤلفين : أ / محمد خير رمضان يوسف ، ص ٣٢٠ – ٣٢١ ط ١ : بيروت – دار ابن حزم ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م] .

(١) سورة الكهف من آية : ٩٠ .

(٢) إنهم قوم بدائيون ، يعيشون في بقعة رملية لا يستقر عليها بناء ، ولا يستترون فيها بظل شجر أو سقف بيت ، وكانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ، وكانت لا تحمل البناء ، فإذا طلعت = =عليهم الشمس نزلوا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا ، إنهم في مرحلة متأخرة ، ليس لديهم شيء من أساليب الرقي أو التحضر. [انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : أ.د / وهبة الزحيلي ١٦ / ٣٠ الطبعة الأولى ، بيروت – دار الفكر ١٤١١ هـ = ١٩٩١م] .

(٣) سورة الكهف من آية : ٨٦ .

فكان موقف ذي القرنين جامعاً الأمرين معاً ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (١).

أمَّا الجماعة التي وجدها عند مطلع الشمس ، وهي الجماعة التي كانت في مرحلة الطفولة الإنسانية، فقد تجاوزها ، ولم يقف طويلاً عندها ، ولم يعرض عليها الإيمان بالله تعالى ، إذ كانت بحيث لا تعقل تلك الدعوة ، ولا تجد لها مفهوماً ، فهي – والحال كذلك – لم تبلغ مبلغ التكليف بعد ، وقد تركها تعالج أمورها على ما يقع في تصورها الطفولي، حتى يُنْضِجَها الزمنُ، ويبلغ بها مبلغ الرجال –أي في العقل والتمييز–] (٢).

رأي الباحث :

وأراني أميل إلى رأي الجمهور، وذلك لقوة دليلهم، فقد استدلوا بالنص القرآني، وما احتواه من دلالات لغوية وبلاغية، حيث قوله سبحانه:"كذلك" في الآية الكريمة ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٣)، وقوله جل شأنه: "ثم" في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾(٤)، وعلى النحو الذي سلف ذكره ، دون خروج عن القواعد في هذا الباب .

وأما ما استدل به الفريق الثاني من الآية الكريمة ، فهو استدلال قاصر ، ويؤكد قصورَه وجودُ "الواو" الحالية السابقة على حرف التحقيق "قد" ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾(٥)

---

(١) سورة الكهف : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن : أ / عبد الكريم الخطيب ٤ / ٧٠٥ ، ٧٠٦ .

(٣) سورة الكهف : ٩١ .

(٤) سورة الكهف : ٩٢ .

(٥) سورة الكهف : ٩١ .

، إذ يكون وجه استدلالهم متعيناً لو قال الله تعالى " قد أحطنا " بدون الواو ، والآية لا تمنع بتة بجانب المعنى الذي ذكره الفريق الثاني ، حمل التشبيه في الآية الكريمة " كذلك " على المعنى الذي ذكره الجمهور دون تكلف ، ويكون المعنى : مثل ما فعل ذو القرنين مع أهل المغرب ، فعل مع أهل المطلع ، وكما أحطنا علماً بحال ذي القرنين وجنوده في رحلته مع أهل المغرب ، أحطنا علماً بحاله وحال جنوده في رحلته مع أهل المطلع ، وهكذا يقال في أهل الشمال..

يقول أ.د/محمد حسن عثمان(١): [" كذلك " الكاف للتشبيه ، والتقدير : " الأمر كذلك " ، " وقد " الواو للحال] (٢).

هذا فضلاً عن أن الفريق الثاني لم يراع دلالات الألفاظ في الآيات ، ناسين أن البلاغة الإيجاز ..

---

(١) هو الدكتور / محمد حسن عثمان حسن ، أستاذ اللغويات بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة ، ولد في طهطا ١٤ / ١١ / ١٩٥٧م . ومن مؤلفاته :

١ – إعراب القرآن وبيان معانيه .

٢ – المرشد الكافي في العروض والقوافي .

٣ – ابن القيم وآراؤه النحوية .

٤ – رُبَّ وأحكامها في النحو العربي .

٥ – الصرف الميسر .

[انظر : موقع أ.د / علي جمعة] .

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه : أ.د / محمد حسن عثمان ٦ / ٦٩٦ – ٦٩٧ ط ١ : القاهرة – دار الرسالة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

وأقول :

= بناءً على الرأي الأول فإن الحاكم والداعية ذا القرنين ﷺ يكون قد تصرف وتعامل مع أهل المطلع بمنطق القائد العارف بواجباته حيال رعيته من دعوة وتحضر وغيره..

= وعلى فرض صحة الرأي الثاني أقول : إن ذا القرنين ﷺ تعامل معهم بحكمة الداعية الفاقه لطبيعتهم ، فراعى أحوالهم وسكت عن دعوتهم إلى الإسلام ، باعتبار أن عقولهم لم تبلغ من النضج ما يجعلها أهلاً لفهم الدعوة ، وأداء التكاليف .

وهذا المبدأ الدعوي له في سنة نبينا محمد ﷺ ما يؤيده ، من ذلك :

[أولاً : قوله ﷺ : " أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم "(١).

ثانياً : وقوله ﷺ : " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم "(٢).

ثالثاً : وقوله ﷺ : " بعثنا معاشر الأنبياء لخاطب الناس على قدر عقولهم "(٣).

---

(١) انظر : الفردوس بمأثور الخطاب المعروف بـــ (مسند الفردوس) : للإمام / شِيرَوَيْه بن شَهردار بن شيرويه أبي شجاع الديلمي ج١ / ٣٩٨ رقم (١٦١١) ، ط١ : بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـــ = ١٩٨٦م ، وذكره الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة ، ص : ١٦٤ . حديث رقم (١٨٠) وعزاه للديلمي وقال : وسنده ضعيف .

(٢) ذكره الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة ص : ١٦٤ تحت الحديث رقم (١٨٠) ، وقد عزاه شيخنا (ابن حجر) لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس ﷺ، قال: وسنده ضعيف .

(٣) ذكره الإمام الزركشي في كتاب التذكرة في الأحاديث المشتهرة ، ص : ١٠٨ ، وقال : رواه أبو الحسن التَّيْمي من الحنابلة في كتاب العقل له بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ط: بيروت ـــ المكتب الإسلامي بتحقيق الشيخ / محمد لطفي الصباغ (د.ت) .

وهذه الأحاديث وإن كان في سندها ضعف إلا أنها صحيحة في معناها] (١).

ويؤيد صحة معناها : ما روي عن عليﷺ موقوفاً: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله "] (٢).

ونحوه ما روي عن ابن مسعود(٣) ﷺ قال : " ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان من ذا فتنة "(٤).

وعقول هؤلاء لا تسع الخطابَ بالدعوة ، وتكاليفها ، ومن ثم تكون دعوتهم عبثاً ، مما يقضي بأن السكوت عن دعوتهم والحالة هذه هو عين الحكمة ، ويكون ذلك من قبيل

---

(١) وانظر في هذا كله : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : للإمام الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ص ٩٣ – ٩٤ ، ط ١: بيروت – دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م وكتاب : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : للمفسر والمحدث الشيخ / إسماعيل بن محمد العَجْلُوني الجراحي ١ / ١٩٦ ، ط ٣ : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب العلم . باب ٤٩ : من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا .

(٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، وهو أحد السابقين الأولين ، أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، ولازم النبي ﷺ ، وكان يحمل نعليه ، روى عنه ابناه : عبد الرحمن وأبو عبيدة ، ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين .

[انظر : الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣٧٣/٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، باختصار، ط ١ : القاهرة – مركز هجر للبحوث ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م . وانظر : أُسد الغابة : لابن الأثير ٣ / ٣٨٤ وما بعدها] .

(٤) انظر : مقدمة صحيح الإمام مسلم ، باب ٣ : النهي عن الحديث بكل ما سمع ، رقم (٥) .

خطابهم على قدر المستوى الإدراكي لعقولهم ، والتعامل معهم بما لا يتجاوز طور استطاعتهم .

كما يؤيد صحةَ هذه الأحاديث من حيث معناها : ما روي عن السيدة عائشة(١) رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : " رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل "(٢) .

وهؤلاء وإن بلغوا سن الرجال إلا أن عقولهم – وهي المعوَّل عليها لكونها مناط التكليف – لا تزال في مرحلة الطفولة أو الصبا – على حد قول صاحب التفسير القرآني للقرآن – ولم تنضج بعد ، ولم تبلغ مبلغ الإدراك الواعي .

وهذا يشبه تماماً إلى حَدّ ما حالَ البدو في عصرنا الحاضر، فإنهم وأن بلغوا سن التكليف، وبلغت عقولهم طور الإدراك الذي يؤهلهم لفهم الخطاب الدعوي الإسلامي إلا أن الإدراك هنا ليس على إطلاقه ، والحكمة تقضي بمخاطبتهم على قدر ذلك الإدراك ، وبالأسلوب التوضيحي التقريبي البطيء ، مع تجنب المسائل الشائكة الدقيقة .

وإذا كان تعلق الأمر بحال البدو في عصرنا هكذا – وهو عصر يتسم بالتقدم العلمي، والتَّقَنِيِّ، ونهضة الاتصالات – فإنه بحال أولئك أولى وأوجب وألزم ، لكونهم كانوا على

---

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، من قريش ، أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين والأدب، كانت تكنى بأم عبد الله، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة ، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولدت عام ٩ قبل الهجرة، وتوفيت عام ٥٨هـ . [انظر: الأعلام: لخير الدين الزركلي ٣/٢٤٠ ط ٦: بيروت – دار العلم للملايين١٩٨٤م]

(٢)أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح ٤١ / ٢٢٤ بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين . قال محقق : وإسناده جيد رقم (٢٤٦٩٤) ط ١ : بيروت – مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

الفطرة الأولى، وكانوا يعيشون العصور البدائية، وهم صنعة يد الله تعالى ، وتلك إرادته سبحانه فيهم ، وله في خلقه شئون .

وقد اقتضى عدله – جل وعلا – ألا يكلف خلقه بما فوق الطاقة والوسع ، فقال سبحانه : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١)، وهؤلاء ليس في وسعهم إدراك الخطاب ، ووعي التكليف .

وتلك هي دعوة الإسلام ، ما أحكمَها ، وما أقومَ سُبلها ، وما أجَلَّها من مبادئ تحيط المخلوقين بسياج العدل ، والواقعية ، والفضل !!!

(١) سورة البقرة من آية : ٢٨٦ .

المبحث الرابع

معالم الدعوة والقيادة في شخصية (ذي القرنين) ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: معالم الدعوة في شخصية (ذي القرنين) ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

المطلب الثاني: التأصيل لضرورة تعلُّم القادةِ والدعاةِ بعض اللغات الأجنبية من خلال قصة (ذي القرنين) ﷺ .

المطلب الثالث : معالم القيادة في شخصية (ذي القرنين) ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم والسنة والنبوية .

المطلب الأول: معالم الدعوة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية.

يقول الله تعالى بعد فراغ مهمة ذي القرنين مع أهل المطلع ، وبدء رحلته الثالثة إلى أهل الشمال : [﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن

يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(١).

بيان الآيات الكريمة :

هذه الآيات الكريمات تناولت معالم ثلاثة لذي القرنين ﷺ مع أهل الشمال ، أفردتُ كلَّ مَعْلَمٍ منها بمطلب خاص ، وهي كالآتي :

١ – معالم دعوية ثابتة بطريق القياس ، واللزوم دون التصريح بها بالنصوص – كما سيأتي إن شاء الله تعالى – .

٢ – ضَرْبُ ذي القرنين الأسوةَ والقدوةَ والمثل للقادة والدعاة بعده إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها في ضرورة تعلمهم بعض اللغات الأجنبية تحقيقاً للأهداف والغايات المنوطة بالمهام المسندة إليهم ، لما حباهم الله تعالى به من قدرات وكفاءات .

٣ – معالم قيادية ثابتة بصريح النصوص .

أما معالم الدعوة لذي القرنين ﷺ لأهل الشمال والتي عقدتُ لها هذا المطلب : فلم تتحدث عنها هذه الآيات الكريمة ، فلماذا سكت القرآن عن دعوته إياهم ؟!

الرأي عندي – والله أعلم – : أن ذا القرنين ﷺ دعا أهل الشمال إلى الإسلام ، ودعوته إياهم – فيما أرى – ثابتة بأمرين :

---

(١) سورة الكهف الآيات : ٩٢ – ٩٨ .

الأمر الأول: أن ذا القرنين ﷺ دعا أهل الشمال إلى الإسلام ، ولم يذكر القرآن الكريم دعوته تلك اكتفاءاً بما ذكره نصاً مع أهل المغرب ، وبما ذكره إشارة عن طريق التشبيه أو القياس مع أهل المطلع في قوله سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ (١).

يقول الأستاذ الدكتور / مصطفى مسلم(٢): [ونظراً لوضوح سياسة ذي القرنين – القيادية والدعوية – في الشعوب التي تمكن منها ، وهو الدستور المعلن في رحلة الغرب ، لم يكرر هنا إعلان مبادئه ، لأنها منهج حياة ، ودستور دولة مترامية الأطراف ، وسياسة أمم ، فهو ملتزم بها أينما حَلَّ ، أو ارتحل] (٣)، فدعوته إياهم ثابتة بالقياس على أهل المغرب ، كما قيس عليهم أهلُ المطلع .

الأمر الثاني : أن الله – جل وعلا – ساق قصة عبده الصالح ذي القرنين ﷺ في كتابه الخالد مساق التأسي والاقتداء ، يقتدي به القادة والدعاة إلى يوم القيامة ، فلا يكون من الحكمة أن يقصر في واجبه الدعوي ، فيدعو قوماً دون قوم ...!! إلا لضرورة تستدعي السكوت عن دعوتهم ، وليس في دلالات الآيات ما يُقوِّي أنه سكت عن دعوة قوم من الأقوام الذين مَرَّ بهم ، وفتح بُلْدانَهم .

---

(١) سورة الكهف : ٩١ .

(٢) هو الدكتور مصطفى مسلم – معاصر – ، وأستاذ في التفسير وعلوم القرآن ، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر قسم أصول الدين تخصص علوم القرآن، وكان عنوان الرسالة : " إعجاز القرآن الكريم " ، وتم قبول رسالته بدرجة مرتبة الشرف ، وكان المشرف أ.د / علي محمود خليل بتاريخ ٢٢ / ٨ / ٢٠٠٥م .

وهو يعمل أستاذاً للدراسات القرآنية بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمل بجامعة الشارقة، والآن متفرغ لبحوثه الخاصة، من مؤلفاته : مباحث في علوم القرآن- مباحث في إعجاز القرآن .[انظر : موقع المكتبة الشاملة] .

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي: ص ٣٠٦، ط ٣ : دمشق – دار القلم ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

لهذا سخر ذو القرنين ﷺ ما آتاه الله تعالى من العلم ، والملك ، والسلطان ، والقوة ، وكثرة الجند ، والسلاح، والعتاد في رحلاته الثلاث للدعوة إلى الإسلام ، ونشر منهجه في المعمور من الأرض ، حيث : مقاومة الكفر ، والظلم ، والبغي ، وإقامة دولة الإسلام على الإيمان والعدل والرحمة .

جاء في تفسير القرآن العظيم: [كان – أي ذو القرنين – كلما مرّ بأمة قهرهم ، وغلبهم ، ودعاهم إلى الله عز وجل ، فإن هم أطاعوه وإلا أذلهم ، وأرغم آنافهم ، واستباح أموالهم ، وأمتعتهم ، واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الإقليم المتاخم(١)] (٢).

ويقول الأستاذ محمد عبده(٣):[كان ذو القرنين حاكماً عادلاً ، لا يظلم أحداً ، وكان يصبر على الناس ، يدعوهم بالرفق واللين ، ويأمل في دخول كل من على الأرض في دين الله تعالى.

خرج ذو القرنين ومعه الجنود ، وآلات الحرب الكاملة التي تقهر أيَّ جيش مهما كانت قوته ، واستطاع أن يجعل أغلب من في طريقه يعبد المولى عز وجل] (٤) أي يفرده بالعبادة دون سواه ، على أساس من الإيمان الصحيح .

---

(١) المتاخم : الملاصق ، يقال : [التَّخْم : منتهى كل قرية أو أرض ، والتُّخوم : الحدود والمعالم] [انظر: لسان العرب ١ / ٤٢٢ مادة (تَ خَ مَ)] .

(٢) تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير ٣ / ١٠٣ .

(٣) ليس هو الأستاذ الإمام محمد عبده المعروف ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) ذو القرنين:أ/محمد عبده ص١١—١٣باختصار كبير،ط١:المنصورة، مكتبةالإيمان١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

والدعوة كما هي واجبة في الأمم السابقة على رسل الله ـــ عليهم السلام ـــ ، وعلى من يملكون زادها من العلم والحكمة من الدعاة ، والملوك المسلمين ، واجبة كذلك ومن باب أولى في الدين الإسلامي الخاتم المخاطَب به كل الأمم وإلى يوم القيامة؛ لأن الديانات السماوية تقوم على الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وعبادته وطاعة أوامره ونواهيه، وذلك لا يكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بدءاً بالأنبياء والرسل- عليهم السلام-، وانتهاءً بورثتهم من الدعاة والملوك المسلمين، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١)، وقال جل شأنه:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٢)،وقال تبارك اسمه:﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(٣) .

[التمكين : السلطة ، ونفاذ الأمر على الخلق ، وفي الآية أخذ العهد على من مكّنه الله أن يفعل ما رُتّب على التمكين ـــ حيث قوله تعالى : ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ ـــ و ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ : توعد للمخالف على ما

(١) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٣) سورة الحج : الآية ٤١ .

رُتِّبَ على التمكين] [١] ، وقال رسول الله ﷺ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٢] ، و" مَنْ " في الحديث الشريف : اسم موصول يفيد العموم ، فيشمل الدعاة والولاة ، وكلَّ من عرف شيئاً عن الإسلام يقيناً .

نتيجة دعوة ذي القرنين ﷺ لأهل الشمال وغيرهم من أهل المغرب ، والمشرق :

بناء على ما ترجح من أن ذا القرنين ﷺ دعا أهل الشمال إلى الإسلام ، فإنني أرى من خلال فهمي للنص القرآني ، وسياقه ، أن أهل الشمال استجابوا لدعوة القائد المسلم ، والعبد الصالح ذي القرنين ﷺ ، وذلك لدليلين :

الدليل الأول : ترجّيهم ذا القرنين أن يبني لهم سداً – ولو بأجر – يحول دون وصول يأجوج ومأجوج إليهم ، حماية لهم من شرهم .

إذ لا يجرءون على ذلك الطلب مِن ملك هو في موقف القوة والسيطرة ، والغلبة ، وهم في موقف الضعف والاستسلام والمسكنة ، وطلب الحماية ، ثم يخالفونه ، ولا يذعنون لدعوته ، وقد قيل : الناس على دين ملوكهم ، لاسيما إذا كان ملكاً محبوباً لقوته وعدله ورحمته وإحسانه .

---

(١) تفسير البحر المحيط : للإمام / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ج ٦ / ٣٤٨ ، ط١ : بيروت ــ دار الكتب العلمية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب:٢٠ بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، رقم (٤٩) وهو من حديث أبي هريرة ﷺ

وقولهم له- كما حكى القرآن الكريم-: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾(١) يوحي بذلك، فهو ليس أمراً منهم له ببناء السد ، ولا يعني بحال أنهم جعلوا بناء السد شرطاً لقبول دعوته ، لأن سياق الآية الكريمة لا يوحي به بتة ، بل ظاهر الدلالة في الطلب على معنى : الترجي مع الإغراء بالأجر .

وفي الجامع لأحكام القرآن : [قوله تعالى : " فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا " استفهام على جهة حسن الأدب] (٢).

=وأيضاً في ترجيهم إياه ببناء السد، مع الإغراء بالأجر، ينبئ عن بعض صفاتهم، وهي:

= الكرم المادي .

= الكرم الخلقي : حيث اللياقة في التعامل مع الآخرين .

يؤكد ذلك : استشعارهم بجاه وسلطان وهيبة من يخاطبهم ويخاطبونه .

والذي يطلب من الآخر عملاً كفاء أجر يستعمل معه – غالباً – صيغة الأمر ، والنهي ، متخذاً الأجر ذريعة إلى ذلك .

= اليسر المادي .

= قوم مسالمون ، يحبون المسالمة ، والعيش في أمان مع الجيران .

---

(١) سورة الكهف من آية : ٩٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفرج الأنصاري القرطبي مج ٦ / ٤٢٢٨ ، ط١ : القاهرة ـــ دار الغد العربي ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩م.

الدليل الثاني: استجابة ذي القرنين ﷺ لطلبهم، إذ لو لم يؤمنوا بدعوته ، لما لبّى طلبهم ، ولعذبهم وقتلهم ، بناء على دستوره الذي أعلنه في تعامله مع الرعية من قبل .

هذا:وما يقال في استجابة أهل الشمال لدعوة ذي القرنين يقال في أهل المغرب ، وأهل المطلع أو المشرق .

وقد جاء في كتاب "مباحث في التفسير الموضوعي" ما يحسم أمر نتائج الدعوة في الرحلات الثلاث، حيث استجابتهم لدعوته–كما ذكرتُ ورَجَّحتُ آنفاً بناءً على الأسس والأدلة التي سُقْتُها .

يقول أ.د/مصطفى مسلم: [لم يعين السياق القومَ الذين اتخذ فيهم ذو القرنين هذه السياسة الحكيمة، كما أهمل ذكر المدة التي مكثها بينهم، والنتائج التي توصل إليها، وكأن الأمر المفروغ منه أن هذه السيرة العادلة، والمبادئ السامية بدهي أن تثمر حضارة ربانية، وتقدماً، وسعادة، وطمأنينة، لذا لم يكن داع لذكرها ، والوقوف عندها][1]. وذلك للعلم بها بداهة، واعتماداً على ذكاء القارئ لها، وهذه النتائج كما تنتظم أهل الشمال ، تنتظم أهل المغرب ، وأهل المشرق ، إذ يجمعهما هدف واحد ، ووجهة واحدة .

(١) مباحث في التفسير الموضوعي : أ.د / مصطفى مسلم ص ٣٠٥ ، (مرجع سابق).

المطلب الثاني: التأصيل لضرورة تعلم القادة والدعاة بعض اللغات الأجنبية من خلال قصة "ذي القرنين" ﷺ

يقول الله تعالى :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾(١) .

موضع الشاهد والدلالة من الآيات الكريمة :

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم انه حمّال أوجه ، وبناءً عليه أقول :

هذه الآيات الكريمة تصور لنا حواراً كلامياً دار بين أهل الشمال، وبين القائد والحاكم المسلم والداعية ذي القرنين ﷺ ، مضمونُه ما نصت عليه الآيات...، في الوقت الذي أخبر الحق تعالى فيه عن هؤلاء القوم أنهم لم يَفهموا كلامَ غيرهم ممن ليسوا من قبيلتهم ، ومن ثم لم يستطيعوا إفهامَ غيرِهم كلامَهم ، أو لم يَفهم غيرُهُم كلامَهم. جاء في تفسير: "النكت والعيون " عند تفسير قول الله تعالى عن أهل الشمال: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾(٢): [وفي قوله " يَفْقَهُونَ " قراءتان :

---

(١) سورة الكهف : الآيات ٩٣ – ٩٨ .

(٢) سورة الكهف : من الآية : ٩٣ .

إحداهما : بفتح الياء والقاف يعني أنهم لا يفهمون كلام غيرهم .

والقراءة الثانية : بضم الياء ، وكسر القاف ، أي لا يَفهم كلامَهم غيرُهم] أولا يُفهِمون غيرَهم كلامَهم(١)[وذلك لبُطْءِ كلامِهم، وعجمة لسانهم ، والمعنيان متلازمان أي يلزم من عدم فهمهم غيرَهم عدمُ فهم غيرهم لهم] (٢).

وهنا السؤال :

كيف تم الحوار؟ هل كلمهم ذو القرنين بلغتهم مباشرة؟ أم احتاج إلى وسيط لترجمة كلامهم ؟

هناك قولان :

الأول: أنه ﷺ لم يَحْتَجْ إلى تَرْجُمان ، وكلَّمَهم بلغتهم مباشرة ، [قال عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم(٣): في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾(٤) قال : تعليم الألسنة ، قال :

---

(١) النكت والعيون (تفسير الماوردي) : للإمام / أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري مج ٣٤١/٣ ط : بيروت – دار الكتب العلمية (بدون تاريخ) .

(٢)تفسير التحرير والتنوير : للإمام / محمد الطاهر بن عاشور مج ٨ / ١٦/ ٣١ – ٣٢ ط : تونس – دار سحنون (د. ت) .

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العُمَري المدني ، أخو أسامة ، وعبد الله ، وفيهم لين ، وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير ، جمع تفسيراً في مجلد ، وكتاباً في " الناسخ والمنسوخ " ، وحدّث عن أبيه، وابن المنكدر، وروى عنه أُصْبَغ بن الفرج ، وقتيبة ، وهشام بن عمار وآخرون ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة .[انظر:سير أعلام النبلاء : للإمام الذهبي ٨ / ٣٤٩ ، وتقريب التهذيب : للإمام / أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ٤٨٠/١ ط ٢ – بيروت – دار المعرفة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م] .

(٤) سورة الكهف من الآية : ٨٤ .

كان لا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم] (١). يريد أن يقول إن تعليم الله تعالى إياه الألسنة (اللغات) كان من جملة الأسباب التي آتاه الله تعالى إياها ، لتحقيق الملك له ، والتمكين في الأرض ، حيث مكنه من محادثة أهل البلاد التي فتحها ، والتعريف بما يريد منهم ، وما يريدون منه على أساس من العدل والرحمة ، والاحترام المتبادل ، والدعوة إلى الإسلام .

وعليه: يكون الإسناد في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾(٢) إسناد حقيقي، ولم يكونوا في حاجة إلى ترجمان، على اعتبار أن ذا القرنين كلمهم مباشرة بلغتهم..

لذا جاء في تفسير روح المعاني: [" قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ .." قَالُوا " أي بالذات، على أن يكون فَهْم ذي القرنين كلامَهم، وإفهامُه إياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الأسباب] (٣).

القول الثاني : أن ذا القرنين ﷺ احتاج إلى ترجمان .

ففي " روح المعاني" – أيضاً – عند تفسير قول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٤)[" قَالُوا" أي بواسطة مترجمهم ، فإسناد القول إليهم مجاز

ولعل هذا المترجم كان من قوم بقرب بلادهم ، ويؤيد ذلك: ما وقع في مصحف ابن مسعود ﷺ " قال الذين مَنْ دونهم "] (٥) بفتح الميم وسكون النون في (مَنْ) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير ٣ / ١٠١ .

(٢) سورة الكهف من الآية : ٩٤ .

(٣) مج ٨ / ١٦ / ٣٨ .

(٤) سورة الكهف من الآية : ٩٤ .

(٥) مج ٨ / ١٦ / ٣٨ .

[وقوله : الذين مَنْ دونهم " أي القوم الذين تقترب بلادهم من بلادهم ، فإنهم يعرفون لغتهم ، ولغة غيرهم ، لوقوع بلادهم بين بلاد الفريقين ، فهم واسطة مترجمون بينهم ، وإنما قدَّره كذلك ، أو جعل الإسناد بجعل قول الترجمان بمنزلة قولهم ، لقيامه مقامهم ، واتحادهما في المقصود ، ليوافق ما قبله من أنهم لا يَفْهمون ولا يُفْهمون](١). وإنما كان مترجمهم من غيرهم ، ولم يكن منهم : [لقلة فطنتهم ، إشارة إلى أنهم ليس لهم قابلية ، ولا قدرة على تعلم لغة غيرهم] (٢).

أقول : ومهما يكن من شيء :

= فإن ذا القرنين فهم كلامهم ، ومرادَهم منه ، وفهموا منه كلامه ومراده منهم إما مباشرة ، وإما بواسطة ترجمان ، والنتيجة في كُلٍّ واحدة ، شريطة الأمانة في المترجِم....

= كما أن هذا يُعَدّ تأصيلاً للحاكم المسلم والداعي المسلم في حاجته الماسة إلى تعلم لغة من يخاطبهم من الأجانب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فإن تعذر عليه ذلك فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ولْيَسْتَعِن بمترجم حاذق أمين ثقة ، ويُفضَّلُ أن يكون مسلماً .

= ذلك أن اللغة هي وسيلة التخاطب ، وتبيين المقاصد ، وتبادل المنافع ، فلم يكن ذو القرنين ﷺ في غنى عنها بحال، لأنها كانت إحدى وسائله الميسَّرة في رحلاته الثلاثة، لتمكينه في الأرض : مُلكاً ، ودعوة ، ونشراً للعدل والرحمة .

---

(١) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٦ / ١٣٥ ، ط : بيروت – دار صادر [د.ت].

(٢) حاشية القونوي : للإمام / عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي مج ١٢/١٦٤ بتصرف يسير ، ط ١ : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

= ومما يؤكد أهمية بل ضرورة تعلم الدعاة وقادة الأمم الإسلامية بعض اللغات الأخرى : عالميةُ الإسلام ، فهو دين عالمي ، ليس له وطن يقف عنده ، ومخاطَب به الناسُ كل الناس على اختلاف أوطانهم ، وأجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ..

ولما كانت اللغة هي إحدى وسائل تبليغ الدين الإسلامي كان حقاً لهؤلاء الناس على القادة والدعاة تبليغهم الإسلام بلغاتهم .

كلمة للشيخ / محمد الغزالي[1] رحمه الله تعالى :

يقول: [إن فهم لغة الشعوب يعد من ضرورات الإسلام، فإن رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الناس قاطبة، وجَمْعُ الناسِ على لسان واحد مستحيل، كيف واختلاف الألسنة من آيات الله؟ فَنَقْلُ تعاليمِ الإسلام إلى أمم الأرض بالألسنة التي يفهمون أقرب إلى العقل والواقع من نقل أجناس البشر إلى لسان العرب. وقد قال المفسرون في شرح قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[2]: إن رسول الله ﷺ بعث من العرب وبلسانهم ، ولكنه يُرسل مبعوثيه إلى الأطراف فيترجمون بألسنتهم ، ويدعونهم إلى الله بلغاتهم .

---

(١) هو الشيخ محمد الغزالي بن أحمد السقا ، ولد عام ١٩١٧م في قرية شبراخيت التابعة لمحافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية ، وهو من كبار دعاة الإسلام في النصف الثاني من القرن العشرين ، ومن علمائه ومفكريه . بدأ سيرته في الدعوة إلى الله وفي الفكر الإسلامي سنة ١٩٤٧م ، وامتدت إلى سنة ١٩٩٦م ، أي إلى يوم وفاته ، فقد توفي رحمه الله أثناء مشاركته لندوة علمية في المملكة العربية السعودية في ٩ مارس ١٩٩٦م ، ودفن هناك بالبقيع ، وله نحو ستين كتاباً منها : خلق المسلم – كفاح دين – كيف نفهم الإسلام . [انظر : مجلة الأزهر : ص١١٣٢ رجب ١٤٣٠هـ / يونية ٢٠٠٩م الجزء السابع ، السنة (٨٢) مقال تحت عنوان : الداعية الإسلامي الشيخ / محمد الغزالي : أ.د / السيد محمد فرج] .

(٢) سورة إبراهيم من الآية : ٤ .

وقالوا إما أن يترل القرآن بجميع الألسنة ، أو بواحدة منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفي التطويل ، فتعين أن يترل بلسان واحد ، فكان لسان قومه أولى بالتعيين ، لأنهم إليه أقرب ، ولأن التحريف عنده أبعد .

وهذا الكلام قاطع في أن الدعاة والولاة وجمعاً من طلاب العلم يجب أن يتعلموا اللغات الأخرى ، وإلا خانوا الرسالة التي حملوها ، وجَهَّلوا الناسَ عَمْداً بها ، ثم إن العلم بالإسلام وتعليمه ليس له وطن خاص ، ولا ينفرد به جيل بعينه .

إن الدعاة والولاة مكلفون بارتياد المواطن القَصِيَّة " البعيدة " لتبليغ وتعليم رسالة الإسلام العالمية ، وبلغة البلاد التي يترلونها .

فتَعلُّمُ الإسلامِ ، وتعليمه وتبليغه الناسَ كل الناس هو روحه ، ولا بقاء لجوهره ، ولا كفالة لمستقبله إلا بهما .

والناس في نظر الإسلام أحد رجلين : إما متعلم يطلب الرشد (المدعو) ، وإما عالم يطلب المزيد وينشره (الداعي) .

قال رسول الله ﷺ: " لن يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة "(١).

وقال ﷺ : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها "(٢).

---

(١) سنن الإمام الترمذي : كتاب العلم ، باب ١٩ : في فضل الفقه على العبادة رقم (٢٨٢٧) وهو من حديث أبي سعيد الخدري . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٢) سنن الإمام الترمذي : كتاب العلم ، باب ١٩ : في فضل الفقه على العبادة رقم (٢٨٢٨) وهو من حديث أبي هريرة . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفيه إبراهيم بن الفضل المخزومي ، وهو ضعيف في الحديث .

وقال ﷺ : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع "(١)] (٢).

وعن عبد الله(٣) ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " نَضَّرَ اللهُ امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع " (٤).

وقال ﷺ : " بلغوا عني ولو آية "(٥) .

أقول-أيضاً-:ومن منطلق عالمية الدين الإسلامي الخاتم، كان سيدنا رسول الله ﷺ يحث الدعاة من صحابته على تعلم لغة الآخرين من غير العرب ، ليبعث إليهم من يدعوهم إلى الله تعالى ، ويتحدثون بلغتهم ، وذلك تحقيقاً لهدف الرسالة ، ممثلاً في البيان الوارد في قول الله-جل وعلا-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٦).

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٧).

---

(١) سنن الإمام الترمذي:كتاب العلم، باب٣: فضل طلب العلم رقم(٢٧٨٥)، وهومن حديث أنس بن مالك . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٢) خلق المسلم: للشيخ/محمد الغزالي ص٢٠٣-٢٠٤بتصرف يسير، ط: القاهرة-نهضة مصر(د.ت).

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ .

(٤) سنن الإمام الترمذي : كتاب العلم ، باب ٧ : في الحث على تبليغ السماع رقم (٢٧٩٥) وهو حديث حسن صحيح . ورواه ابن ماجه في المقدمة ، باب ١٨ : من بلغ علماً رقم (٢٣٢) .

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٦١) وهو من حديث عبد الله ابن عمرو .

(٦) النحل من الآية : ٤٤ .

(٧) إبراهيم : الآية ٤ .

من هؤلاء : الصحابي الجليل زيد بن ثابت(١) ﷺ[عن زيد بن ثابت ﷺأن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبتُ للنبي ﷺ كُتبَه، وأقرأته كتبَهم إذا كتبوا إليه"](٢)

[المراد بالكتاب:الخط. قوله ﷺ: "كتبتُ للنبي ﷺ كتبَه"يعني إليهم، و" أقرأته كتبَهم " : أي التي يكتبونها إليه "](٣)،أي:كتبت له ﷺ كتبه التي بعث بها إليهم، وقرأت له ﷺ كتبهم التي بعثوا بها إليه ، وذلك بتوجيه منه ﷺ ليأمن ونأمن شرهم .

واللغة آية من آيات قدرة الله تعالى ، وعلمه ، وحكمته ، قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (٤).

---

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بنت مالك ابن النجار الأنصاري الخزرجي، أبوسعيد، وقيل أبو ثابت، استُصغِر يوم أحد ، ويقال أول مشاهده الخندق ، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك ،وكتب الوحي للنبي ﷺ، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكرﷺ، وقال له أبوبكرﷺ : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وكان ﷺ رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، مات زيد سنة خمس وأربعين على قول الأكثر ، وقال أبو هريرة ﷺ حين مات : اليوم مات حبر هذه الأمة ، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خَلَفاً.[انظر:الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٣/٤ ، ٧٦ ، ٧٧ باختصار كبير ، ط ١ : ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م] .

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب٤٠:ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد، رقم(٧١٩٥) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٩٨/١٣ ، ط١ : القاهرة ـــ دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

(٤) الروم : ٢٢ .

ولما كان اللسان آلة التخاطب عُبِّرَ عن اللغة به ، وهذا من أساليب المجاز المرسل بعلاقة الآلية .

جاء في إرشاد العقل السليم: ["وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ " أي لغاتكم ، بأن عَلَّمَ سبحانه كُلَّ صنف لغته ، وألهمه وضعها ، وأقدره عليها] (١).

[ألا فليعلم الدعاة هذه الحقيقة ، إن أرادوا أن يُحْدِثوا في الأمة تأثيراً ، وفي المجتمعات الإنسانية تغييراً .

نعم : في حال جهل الداعي بلغة من يدعوهم ، يمكن أن تغني عنها الترجمة ، ولكنها لا تغني عن التخاطب المباشر في إيصال فكر الداعي إلى الناس ، مهما كانت صحة الترجمة ودقتها فليس بمستطاع عند جمهرة القوم أن يتفاعلوا مع الداعي حتى لو كان المترجم فصيحاً بليغاً أميناً ، لأن التخاطب المباشر على أساس لغة البلد عامل كبير من عوامل نجاح الداعي ، ومن مقومات تأثيره في البيئة] (٢).

فتعلُّمُ اللغاتِ الأجنبية إذن ، واستخدامها في مجال الدعوة والتبليغ مطلب إسلامي ، دعا إليه النبي ﷺ وحث عليه ، ورغب فيه ..

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : للإمام أبي السعود٤/٢٧٥ ، ط : بيروت – دار الفكر(د.ت). وينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام / أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٣/٤٥٨ ط : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

(٢) مدرسة الدعاة : للدكتور / عبد الله ناصح علوان ١ / ٣٣٦ بتصرف يسير ، ط ١ : القاهرة – دار السلام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

ومن ناحية أخرى:[فإن معرفة اللغات اليوم مفتاح للعلوم الكونية التي أصبحت ضرورية لمجاراة العجم والفَرَنجة ، والترقي بين الأمم .

وأصبحت – كذلك – حلقة وصل للتعارف الذي بات ضرورياً للعيش ، وأمن الإنسان على حقوقه عند الاختلاط .

وللشيخ صفي الدين الحِلّي(١)وهو ممن كان عالماً بعدة لغات :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك عند الملمات أعوانُ

فبادرْ إلى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسان في الحقيقة إنسانُ] (٢).

وما أعظمَه من نفع حين يكون تعلم اللسان أو اللغة منوطاً بأشرف عمل في الحياة نص القرآن عليه في قوله جل شأنه:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

---

(١)هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا بن باقي بن عبد الله ابن العريض السنبسي الحلي (صفي الدين) . [٦٧٧ – ٧٥٢ هـ / ١٢٧٨ – ١٣٥١ م] ، أديب ، شاعر ، ولد بالحِلّة في ربيع الآخر ، وتعلّم الأدب ، فمهر في فنون الشعر كلها ، وتعلم المعاني والبيان ، وتعاطى التجارة ، فكان يرحل إلى الشام ومصر ، وتوفى ببغداد . من آثاره : ديوان شعر كبير – المثالث والمثاني في المعالي والمعاني والكافية البديعية.[انظر:معجم المؤلفين:أ/عمر رضا كحالة٥/٢٤٧].

(٢)الرسول المعلم وأساليبه في التعليم : للشيخ / عبد الفتاح أبو غدة ص ٢١٥ – ٢١٦ بتصرف يسير ، ط ٣ : بيروت – دار البشارة الإسلامية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

(٣)فصلت الآية : ٣٣ .

المطلب الثالث: معالم القيادة في شخصية "ذي القرنين" ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية

لقد ظهرت معالم قيادة ذي القرنين ﷺ مع أهل الشمال في أنه حقق لهم – بعون الله له – نعمة الأمن على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم من شر يأجوج ومأجوج، وذلك ببناء السد أو الردم الذي حال دون وصول يأجوج ومأجوج إليهم.

كان أهل الشمال يفتقدون الشعور بنعمة الأمن والأمان، فطلبوا من الملك والقائد ذي القرنين ﷺ أن يسد لهم الفتحة التي بين الجبلين، ليقطع الطريق على قبيلتي يأجوج ومأجوج، فلا يصلوا إليهم، حسماً لشرهم.

وعن نوع إفسادهم قال أكثر المفسرين: [إنهم مفسدون: بالقتل، والسلب والنهب، وسائر وجوه الشر] (١).

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا

(١) صفوة التفاسير: للشيخ/محمد علي الصابوني مج٢/٢٠٦، ط٤: بيروت – دار القرآن الكريم ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

﴿٩٨﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١).

بيان لبعض المفردات :

[السد : هو ما يسد به . والردم كالسد ، إلا أنه أكبر منه وأمتن (٢)

الصدفان : جبلان . وفيهما وجهان :

أحدهما : أن كل واحد منهما محاذ لصاحبه ، مأخوذ من المصادفة في اللقاء .

الثاني: هما جبلان – كل واحد منهما منعزل عن الآخر ، كأنه قد صدف عنه] (٣).

[والصدفان : بفتحتين : جانبا الجبلين ، لأنهما يتصادفان ، أي يتقابلان ، والقطر : النحاس المذاب ، لأنه يقطُر (٤). نقباً : أي : خرقا – دكاء : مستوياً بالأرض] (٥) .

---

(١) الكهف الآيات : ٩٢ – ١٠١ .

(٢) التفسير الواضح أ.د / محمد محمود حجازي ، مج ٢ / ٤٣٤ ، ط١: الزقازيق – دار التفسير للطبع والنشر ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٣) النكت والعيون : مج ٣ / ٣٤٣ .

(٤) التفسير الكبير : للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي مج ١١/٢١/١٤١ ، ط : بيروت – دار المكتبة العلمية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

(٥) التفسير الواضح : مج ٢ / ٤٣٥ .

بيان الآيات الكريمة :

[بعدما وطَّدَ ذو القرنين ﷺ ملكه على أهل المشرق دعاهم إلى الإسلام ، وأقام الإصلاحات التي تجعل منهم أناساً يعرفون ما لهم وما عليهم ، وأقام بين ظهرانيهم زمناً لذلك الغرض(١)، سلك طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب يوصله جهة الشمال ، حيث الجبال الشاهقة(٢)، فصار حتى إذا بلغ بين السدين ، وهما جبلان بينهما فجوة أو فتحة ، وجد من ورائهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ، وحينما رأوا ذا القرنين وما هو عليه من جاه وسلطان ، وما معه من جند وعتاد](٣) غير متكبر ولا متجبر مع ما لديه من قوة ، مستخدماً ما مكنه الله تعالى في مسالمة أقوام البلاد التي فتحها، داعياً إياهم إلى الإسلام ، والتمسك بتعاليمه وأحكامه ، مقيماً لدولة العدل بينهم ، لما رأوه كذلك اطمأنوا إليه فشكوا إليه همومهم ، وما يلقونه من أذى جيرانهم يأجوج ومأجوج ، طالبين منه بناء سد مقابل أجر مادي يعطونه إياه ، فرفض ﷺ طالباً منهم العون البدني ، وتم بناء السد أو الردم على نحو لم يستطع يأجوج ومأجوج اعتلاءه ، أو نقبه للخروج منه ، وحُجِبوا بهذا السد عن العالم إلى أن يأتي وعد الله تعالى بدكه وتسويته بالأرض ، وذلك قرب قيام الساعة .

وفيه: بيان فضل الخشونة والأيدي العاملة، وذم التَّرَفُّه، فما به تقوم حضارة أو نهضة.

= بيان فضل الإيمان بالله تعالى وبالبعث ، وأثره في صاحبه ، حيث يُوَرِّث فيه الخشيةَ من الله تعالى فلا يظلم ، وخلقَ التواضع ، وعدم الاغترار بالقوة ، لإيمانه بأن مصدر النعم هو الله تعالى ، ولو شاء لسلبها ولا معقب .

---

(١) زهرة التفاسير : للإمام / محمد أبو زهرة مج ٩ / ٤٥٨٤ بتصرف (مرجع سابق) .

(٢) صفوة التفاسير مج ٢ / ٢٠٧ (مرجع سابق) .

(٣) التفسير الواضح : ٢ / ٤٣٧ (مرجع سابق) .

= بيان فضل الإحسان إلى الجيران ، وكف الأذى عنهم سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول ، ومناصرةِ الضعيف على القوي ، ورد حقه إليه .

وإضافة إلى ما تقدم :

فإن هذه الآيات الكريمة في مجموعها ومضامينها لتُصورُ لنا من المعاني ما يلي :

= أن كل مخلوق ميسَّر لِما خلق له ، فلأن الله تعالى أراد لذي القرنين ﷺ ما أراد من التمكين له: ملكاً، ودعوة يسَّر له الأسباب والوسائل والأساليب بما يعينه على بلوغ ذلك.

= بيان مدى التزام ذي القرنين ﷺ بما كلفه الله تعالى به من السعي الدائب لفتح البلدان ، وتخليصها من الظلم والطغيان ، وإحلال العدل والإسلام محله في كل آن ، فكان ﷺ صدوقاً ، وعلى قدر المسئولية ، وأميناً على ما ائتمنه الله تعالى عليه .

المادة التي بني منها السد :

في "النكت والعيون": [السدكان حجارته الحديد،وطينه النحاس](١)أوالرصاص المذاب

وجاء تفصيلاً في بعض كتب التفاسير أن السد الذي بناه ذو القرنين كان من :

[أ–قطع الحديد على قدر الحجارة التي يُبْنَى بها، فبنى بها، وجعل بينهما الحطب والفحم.

ب – والنحاس المذاب: حيث أُفرِغ على الحديد المحميّ ، فدخل بين قِطَعه فصار شيئاً واحداً] (٢).

---

(١) النكت والعيون (تفسير الماوردي) : ١٦ / ٣٤٣ (مرجع سابق).

(٢) تفسير الجلالين للإمامين/ جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي: ١٦/٣٠٣ ط: القاهرة–دار الغد العربي (د.ت).

ويترجح لديَّ أن بناء السد على هذا النحو كان بإلهام من الله تعالى لذي القرنين ﷺ، وأستبعدُ أن يكون العلم الهندسي المعماري آنذاك كان من التطور بحيث يرقى إلى هذا المستوى..!!

كيفية بناء السد :

وعن كيفية بناء السد [قيل : حفر الأساس حتى بلغ الماء ، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب ، والبنيان من زُبَر (قِطَعِ) الحديد ، بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط ، والتصق بعضه ببعض، وصار جبلاً صلداً ، وقد قيل: بُعْد ما بين السدين مائة فرسخ(١) ....] (٢)، وتحديد المسافة بين السدين بـــ "مائة فرسخ " ليس بمُسْتَيْقَن ، ويحتاج إلى دليل من القرآن أو السنة ، ولا دليل .

[واعلم أن هذا معجز قاهر ، لأن هذه الزُّبَرَ الكثيرة إذا نُفِخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان – إنساناً أو غيره – على القرب منها .

والنفخ عليها لا يمكن إلا مع القرب منها ، فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين عليها](٣)، وذلك كرامة لذي القرنين ﷺ وجنده والضعفاء المظلومين من أهل الشمال .

---

(١) الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول، يُقدر بثلاثة أميال.[المعجم الوسيط:٢/٧٠٧] والميل:مقياس للطول قدر قديماً بأربعة آلاف ذراع، وهو الميل الهاشمي، وهو بري وبحري. فالبري يقدر الآن بما يساوي (١٦٠٩) من الأمتار، والبحر بما يساوي (١٨٥٢) من الأمتار.[المعجم الوسيط٢/٩٣٠].

(٢) الكشاف : للإمام الزمخشري ٢ / ٤٠٢ .

(٣) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي مج ١١ / ٢١ / ١٤١ .

وقد أكسبه ذلك صلابة وملاسة ، مبالغة في حجب يأجوج ومأجوج عن الناس .

وهم تارة يحاولون تسلقه والصعود إلى قمته للخروج على الناس فلا يستطيعون لارتفاعه وملاسته، وتارة أخرى يحاولون نقْبه وخرقَه فلا يستطيعون لسمكه وصلابته، وهو قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾(١).

[ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل سبحانه كُلاً بما يناسبه ، فقال: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾(٢) ، وهذا دليل على أنهم لم يقدروا ـــ في زمان ذي القرنين ﷺ ـــ على نقبه ، ولا على شيء منه] (٣).

[فمجيء فعل الاستطاعة في قصة ذي القرنين بـــ " تاء " المطاوعة مرة ، وبغيرها مرة أخرى ، إشارة إلى أن هذه التاء تدل على زيادة في الشدة ، حيث يفترق فعل عن فعل] (٤) فما أجملَه من نظْم وما أدقه من تعبير ، وما أجَلَّه من كتاب معجز تنطق شواهده بأنه : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٥).

---

(١) الكهف : ٩٧ .

(٢) الكهف : ٩٧ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : للإمام / ابن كثير ٣ / ١٠٤ (مرجع سابق).

(٤) التفسير القرآني للقرآن : للعلامة / عبد الكريم الخطيب مج ٤ / ٧١١ (مرجع سابق).

(٥) سورة فصلت : آية ٤٢ .

الردم في السنة النبوية ، ودفع التعارض :

عن زينب بنت جحش(١)-رضي الله تعالى عنها- زوج النبي ﷺ قالت : "خرج رسول الله ﷺ فزِعاً مُحمَرَّاً وجهُه ، يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوج مثل هذه ، وحلّقَ بإصبعه الإبهام والتي تليها "(٢) .

موضع الشاهد من الحديث :

وموضع الشاهد من الحديث قوله ﷺ : " فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلّقَ بإصبعه الإبهام والتي تليها " ، والحديث يثبت أن يأجوج ومأجوج استطاعوا نقبَ الردم (خرقه) ، بينما الآية الكريمة تنفي ، حيث قوله سبحانه: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾(٣).

وليس بين الآية الكريمة والحديث الشريف تعارض حقيقي ، إنه تعارض ظاهري يزول بقسط يسير من النظر ، فإن الحديث يحدد أن النقب الذي أحدثه يأجوج ومأجوج في الردم

---

(١) هي زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية ، من أسد خزيمة (٣٣ق هـ - ٢٠ هـ = ٥٩٠ - ٦٤١ م) ، أخت عبد الله بن جحش ﷺ ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ ، وزينب هي أم المؤمنين ، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام ، كانت زوجة زيد بن حارثة ﷺ ، واسمها بَرَّة ، وطلقها زيد ، فتزوج بها النبي ﷺ ، وسماها " زينب " ، وكانت من أجمل النساء ، وبسببها نزلت آية الحجاب ، روت (١١) حديثاً ، وهي أول من حمل بالنعش من موتى العرب. [الأعلام: خير الدين الزركلي مج ٣/٦٦ بتصرف يسير، ط٩: بيروت-دار العلم للملايين١٩٩٠م].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة - باب ١ : اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج رقم (٢/٢٨٨٠) .

(٣) سورة الكهف : الآية : ٩٧ .

أو السد كان في زمن النبي ﷺ وهو قوله ﷺ " فتح اليوم " ، وهو بمقدار يسير ، عَبَّرَتْ عنه راوية الحديث السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها بقولها : "وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها ". وعليه: فالجمع بينهما يكون بحمل الآية الكريمة على معنى : وما استطاعوا له نقباً في زمن ذي القرنين ﷺ لا في زمن النبي محمد ﷺ، وقد أخبر الحديث الشريف أنه " فتح من ردم يأجوج ومأجوج في زمن النبي ﷺ ذلك القدر الذي مثلت له أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها بقولها " وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها"، لكن لن يستطيعوا نقبه بالقدر الذي يُمَكنُهُم من الخروج منه إلى العالم للإفساد في الأرض حتى يأتي وعد الله الماثل في قوله تعالى على لسان عبده ذي القرنين ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(١) وبهذا يزول التعارض .

قال ابن بطال(٢) : [أنذر النبي ﷺ في حديث زينب رضي الله تعالى عنها بقرب قيام الساعة كي يتوبوا قبل أن هَجم عليهم، وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قرب قيام الساعة ، وما فتح من ردمهم بذاك القدر في زمنه تأكيد للإنذار] (٣) .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٩٨ .

(٢) هو ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (٠٠٠ – ٤٤٩ هـ = ٠٠٠ – ١٠٥٧م) أبو الحسن ، عالم بالحديث ، من أهل قرطبة ، قال ابن بشكوال : كان من أهل العلم والمعرفة ، عُني بالحديث العناية التامة ، شرح صحيح البخاري في عدة أسفار ، رواه الناس عنه ، توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وكان من كبار المالكية . [سير أعلام النبلاء : للإمام / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ج ١٨ / ٤٧ – ٤٨ ، ط١٠ : بيروت – مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م] .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج١٣/١٦ باختصار . ط١ : القاهرة – دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

وفي الحديث أيضاً: تحذير للعرب من إحداث الفتن والتفكك، ودعوتهم إلى الوحدة .

عبر وعظات من بناء السد :

[١- وبناءُ ذي القرنين ﷺ السدَّ أو الردمَ حمايةً لهذا الشعب المقهور المستضعف المسالم من غارات يأجوج ومأجوج مَثَلٌ فيه عبرة للدول القوية التي يجب عليها المحافظة على الشعوب الضعيفة ، والإبقاء على ثرواتهم دون أخذ شيء منها ، منعاً من الإسهام في إضعافها ، وأخذاً بيدها نحو النهوض ، وإغاثتها وإنقاذها من التخلف والضياع ، فإن العبد الصالح والملك العادل ذا القرنين ﷺ ملك الدنيا في زمانه ، وأبى أن يأخذ شيئاً من أموال أولئك الأقوام ، بالرغم من بناء السد الحصين العملاق(١) .

٢- أن على الملك أو الحاكم أو السلطان أو رئيس الدولة إذا اشتكى إليه جَوْر مجاورين أن يبذل وسعه في تحقيق الراحة الأمن ، دفاعاً عن الوطن العزيز ، وصيانة للحرية والتمدن من مخالب التوحش والخراب ، قياماً بفريضة دفع المعتدي ، وإمضاء العدل بين العالمين .

٣- أن على الملك التَّعففَ عن أموال رعيته ، والزُّهدَ في أخذ أجرة في مقابلة عمل يأتيه ما أغناه الله عنه ، ففي ذلك حفظ كرامته ، وزيادة الشغف بمحبته .

٤- التحدث بنعمة الله تعالى إذا اقتضاه المقام ، كقول ذي القرنين ﷺ في مقام تعففه عن أموالهم ، والشفقة عليهم "﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾(٢) .

---

(١) التفسير المنير : أ.د / وهبة الزحيلي ١٦ / ٣١ (مرجع سابق) .

(٢) الكهف : من الآية ٩٥ .

٥- مشاطرة الملكِ العمالَ في الأعمال ، ومشارفتهم بنفسه إذا اقتضى الحال ، تنشيطاً لهمتهم ، وترويحاً لقلوبهم ، فقد كان ﷺ يتقاسم الرجالَ الأتعابَ ، ويُدير العملَ بنفسه ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾(١)] (٢)

إعجاز علمي للقرآن :

والقرآن الكريم فيما أخبر عن مكونات السد، وكيفية بنائه سبق العلمَ العمراني الحديث [فقد استخدمت هذه الطريقة في البناء حديثاً، لتقوية الحديد، فَوُجِد أن إضافة نسبة من النحاس عليه يضاعف مقاومته وصلابته .

وكان الذي هدى الله تعالى إليه ذا القرنين ﷺ، وسجله كتابه الخالد، سبقاً للعلم البشري الحديث بقرون لا يعلم عددَها إلا الله تعالى .

بذلك التحم الحاجزان، وأغلق الطريق على يأجوج ومأجوج ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ (٣)وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف فأمنوا واطمأنوا](٤).

على أن هذه المكونات التي انتظمها السد من الحديد، والنحاس المذاب وغيرهما- فيما أرى- لا تكفي- علمياً وواقعياً- لأن يظل السد بسمكه وصلابته وملاسته إلى يوم القيامة،

---

(١) الكهف : من الآية ٩٦ .

(٢) تفسير القاسمي ١١ / ٨٩ (مرجع سابق) .

(٣) الكهف : من الآية ٩٧ .

(٤) يأجوج ومأجوج وذلك السد : للأستاذ / جابر عبد الرحمن علي ، ص : ١٨، ط٤: القاهرة ـــ دار الصفوة . (د.ت) .

فسرٌ بقائه إلى الآن وما بعد الآن إلى أن يشاء الله هو أن الله تعالى أراد بقاءه، وهو سبحانه القائل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١)، فليس بقاؤه إلى الآن أمراً قائماً على ارتباط المَسَبَّب بالسبب ، إنما هو طلاقة قدرة الله جل وعلا .

تَهَدُّم السد ، وخروج يأجوج ومأجوج(٢) من العلامات الكبرى لقيام الساعة :

إن خروج يأجوج ومأجوج من خلف السد إلى العالم للإفساد في الأرض : تعذيباً ، وقتلاً ، وسلباً ، ونهباً ، وتدميراً ، وتحريقاً مرهون بِدَكّ ذلك السد ، وهدمه ، وذلك يكون قرب قيام الساعة .

---

(١) سورة النحل آية : ٤٠ .

(٢) يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام ، وعلى أشكالهم ، وصفاتهم ، ومن نسل يافث بن نوح على الصحيح. عن سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"وَلَدُ نوحٍ ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافثُ أبو الترك " (أخرجه الإمام أحمد في مسنده : بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين ج٣٣/٣٠٣ رقم(٢٠١١٤) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده ضعيف ، ط١ : بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١م) ، وهما- أي يأجوج ومأجوج- قبيلتان، والاسمان مشتقان من أجيج النار، وهو التهابها، وقيل من الأَجَّة بالتشديد وهي الاختلاط، أو شدة الحر، وقيل من الأَجّ ،وهو سرعة العَدْو، وقيل من الأَجَاج وهو الماء الشديد الملوحة. وقيل: مأجوج من ماج إذا اضطرب، وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم.[انظر في هذا تفصيلاً: تفسير الإمام ابن كثير٣/١٠٤، وفتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني ١٣ / ١٠٦ ، والتفسير القرآني للقرآن : للأستاذ / عبد الكريم الخطيب١٦/٧٠٧، وعظات وعبر في قصص القرآن: أ/سعيد عبدالعظيم ص٢٣٩،وقصص القرآن (دروس وعبر للدعوة والدعاة) : للشيخ / محمد بيومي ص ١٢٣] .

وهاهي ذي الأدلة :

الدليل الأول : قول الله تعالى على لسان ذي القرنين مشيراً إلى السد بعد أن فرغ من بنائه : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾(١).

وجه الدلالة من الآيتين :

وجه الدلالة هو: أن الوعد في الآية الأولى مفسر فيها بقرب قيام الساعة، حيث جاء متلوّاً في الآية الثانية بقرائن لا تكون ولا تحدث إلا في يوم القيامة، أو قبيل قيامها .

جاء في صفوة التفاسير :

[﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: قال ذو القرنين ﷺ: هذا السد رحمة ، ونعمة من الله على عباده."فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي "بخروج يأجوج ومأجوج، وذلك قرب قيام الساعة "جَعَلَهُ دَكَّاءَ " مستوياً بالأرض، متهدماً، كأن لم يكن بالأمس"وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي" بخراب السد حقاً كائناً لا محالة. وهنا تنتهي قصة ذي القرنين ، ثم يأتي الحديث عن أهوال الساعة ، وشدائد القيامة – بما يُعَدُّ قرينةً لتفسير الوعد بقرب قيامها .

قال تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (٢)،أي وتركنا الناس يوم القيامة يضطرب بعضُهم ببعض لكثرتهم، كاضطراب موج البحر ، ونفخ في

---

(١) سورة الكهف : ٩٨ – ٩٩ .

(٢) سورة الكهف : ٩٩ .

الصور النفخة الثانية فجمعناهم للحساب والجزاء في صعيد واحد جمعاً لم يتخلف منهم أحد] (١).

وتلك قرائن جاءت تالية للوعد في الآية تؤيد أن المراد به قرب يوم القيامة .

الدليل الثاني : قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ (٢).

[علامة التأنيث في فِعْل "فُتِحَتْ" لتأويل يأجوج ومأجوج بـ"الأمة"، ثم يُقَدَّر المضافُ وهو "سَدّ" فيكتسب التأنيث من المضاف إليه–وهو"أمة يأجوج ومأجوج"–] (٣) .

والآية الكريمة تشير إلى الآتي :

[أنه إذا فتح – تهدَّم – سدُّ يأجوج ومأجوج أسرعوا في المشي للفساد، والحَدَبُ : هو المرتفع من الأرض .

وهذه صفتهم في حال خروجهم، كأن السامع مشاهد لذلك ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٤)، وهذا إخبارُ عالمٍ بما كان، وما يكون، وما سيكون، يعلم غيب السموات والأرض لا إله إلا هو .

---

(١) صفوة التفاسير: للأستاذ الدكتور/محمد علي الصابوني مج ٢/٢٠٧ بتصرف يسير،(مرجع سابق).

(٢) سورة الأنبياء : ٩٦ – ٩٧ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير: للإمام/محمد الطاهر بن عاشور مج٨/١٧/١٤٩.ط.تونس–الدار سحنون(د.ت).

(٤) سورة فاطر من الآية : ١٤ .

" واقترب الوعد الحق " يعني اقترب يوم القيامة ، إذا حصلت هذه الأهوال ، والزلازل، والبلابل أزفت الساعة ، واقتربت ، فإذا كانت ووقعت قال الكافرون : ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾(١) ، ولهذا قال تعالى: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا" – لاتكاد تَطْرُفُ – من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام " يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا " في الدنيا " بل كنا ظالمين "لأنفسنا حيث لا ينفعهم ذلك](٢). [أضربوا عن القول السابق، وأخبروا بالحقيقة المؤلمة، والمعنى: لم نكن في غفلة، حيث ذكَّرَتْنَا الرسلُ، ونبهتنا الآياتُ، بل كنا ظالمين لأنفسنا بالتكذيب، وعدم الإيمان، قال المفسرون: جعل الله خروج يأجوج ومأجوج علماً – علامة – على قُرب الساعة ، قال ابن مسعود ﷺ : الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج كالحامل المُتمِّم ــ أي للتاسع ــ لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً] (٣)

أقول: وروودُ هَدمِ السد في غير موضع من القرآن مع اتفاق أكثر المفسرين على أن هدمه أمارة على قرب يوم القيامة هو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن ، وهو أقوى أنواع التفاسير في الدلالة على المراد ، ويعطي ترجيحاً له أقرب إلى اليقين .

الدليل الثالث: ورود أحاديث صحيحة وثابتة تنص على أن خروج يأجوج ومأجوج من وراء السد وبعد هدمه إنما يكون قرب اليوم الآخر .

---

(١) سورة القمر من الآية : ٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : للإمام / ابن كثير ٣ / ١٩٥ – ١٩٦ . (مرجع سابق).

(٣) صفوة التفاسير : مج ٢ / ٢٧٥ ، (مرجع سابق) .

من ذلك: ما روي [عن حذيفة أَسِيد الغفاري[(١)] ﷺ قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال:"ما تذاكرون؟ " قالوا : نذكر الساعة . قال ﷺ : "إنها لن تقوم حتى ترون فيها عشر آيات، فذكر ﷺ :" الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، أو ثلاث خسوف ، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"] [(٢)] .

بيان الحديث :

[والآيات – في الحديث – أمارات للساعة : إما على قربها ، وإما على حصولها.

فمن الأول : الدجال ، ونزول عيسى ، ويأجوج ومأجوج ، والخسف .

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس.

---

(١) هو حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوس بن الوقيعة بن حرام بن غفار بن مليل الغفاري ، وكنيته (أبو سريحة الغفاري) ؛ كان ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان ، يُعَدّ في الكوفيين ، روى عنه أبو الطفيل، والشعبي. [الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمرو يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر القرطبي ٤ / ٢٣١ ، ط ١: بيروت- دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م] .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ١٣ : في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤ / ٢٢٢٥ – ٢٢٢٦ رقم (٢٩٠١) .

وقد تواترت النصوص بظهور المهدي(١)، ويكون ظهوره سابقاً لهذه العلامات ، فهو الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، ويجتمع عليه المؤمنون لقتال الدجال ، ثم ينزل عيسى عليه السلام ويصلي خلفه .

ولم يظهر شيء من الأمارات الكبرى حتى زماننا هذا ، وستظهر بإذن الله تعالى وفق خبر الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه] (٢).

وفيما تقدم : ردّ على من يدعي أو يزعم أن ردم أو سد ذي القرنين قد تهدم ، وأن يأجوج ومأجوج قد خرجوا بعد تهدمه على العالم ، وعاثوا في الأرض فساداً، وأنهم هم التتار والمغول ، أي : [الإنسان الأصفر ، وهي تلك الشعوب التي تعيش وتقيم في أواسط آسيا، وجنوب شرق آسيا وهي اليابان- الصين- الهند- بورما- لاوس- كمبوتشيا- فيتنام- ماليزيا- أندونيسيا- باكستان- بنجلاديش- كوريا- نيبال- تايلاند- منغوليا- أفغانستان- كازاكستان- أوزبكستان وتركستان- تركمانستان- تركيا- الأكراد](٣).

---

(١) من ذلك : ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " يكون في أمتي المهدي ، فإن طال عمره أو قصر عمره عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها " [مج ٣/٣٦ رقم (١١٢١٢)] . ورواه الإمام الترمذي في سننه : كتاب أبواب القدر ، باب ٤٤ : ما جاء في المهدي رقم (٢٣٣٣) وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن : للإمام / شرف الدين الحسين ابن عبد الله بن محمد الطيبي ١١ /٣٤٤٩ ط ١ : مكة المكرمة – المكتبة الشامية ١٤١٧هـ /١٩٩٧م . وانظر : عظات وعبر في قصص القرآن : أ / سعيد عبد العظيم ص ٢٤٢ ط : الإسكندرية – دار الإيمان (بدون تاريخ) .

(٣) ممن ذهب إلى ذلك: الدكتور/ سيد محمد قطب في كتابه: " الطاغوت ويأجوج ومأجوج" ص٢٢٥ ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م (بدون مكان الطبعة) .

وهذه ـــ فيما أرى ـــ لا تعدو أن تكون مجرد اجتهادات ، وهي – غالباً – لا تحظى بقبول عند جمهور العلماء والمفسرين لمخالفتها القاعدة الأصولية المعروفة " لا اجتهاد مع نص " ، والنصوص التي معنا إن لم تكن تفيد الجزم في تهدم السد قرب قيام الساعة، وما يستتبعه من خروج يأجوج ومأجوج على الناس ، فإنها تفيده ترجيحاً أقرب إلى اليقين ، ومن ثم يكون القول بما تضمنته هذه النصوص أولى بالقبول من غيره ..

سؤال يطرح نفسه :

إذا كان السد موجوداً : فأين هو ؟ وأين هم يأجوج ومأجوج ؟

بناء على ما تقدم من ثبوت أن خروج يأجوج ومأجوج، واندكاك السد وتهدمه من العلامات الكبرى لقيام الساعة ، نتج الآتي :

= وجود السد الذي بناه ذو القرنين ﷺ الآن، واستمرارية وجوده بوصفه ، وصلابته وملاسته ، وسمكه ، بطلاقة قدرة الله تعالى حتى قرب يوم القيامة .

= يلزم من وجود السد وجودُ يأجوج ومأجوج خلفه، وأنهم لن يخرجوا منه إلى العالم حتى تهدمه ، وتسويته باليابسة .

وقد يتفرَّع من هذا سؤال ، خصوصاً ممن ينكرون وجود السد الآن ، ووجود يأجوج ومأجوج خلفه ، وهو :

إذا كان السد موجوداً ، فأين مكانه ؟ وأين هم يأجوج ومأجوج ؟ إنه لو كان موجوداً لأمكن معرفة مكانه ، والاطلاع على مَنْ خلفَه "يأجوج ومأجوج"، لاسيما في ظل التقنيات الحديثة من الأقمار الصناعية وغيرها ..

وللإجابة على هذا السؤال ، أقول وبالله تعالى التوفيق :

=إن القرآن الكريم لم يحدد متى بني السد، ولا أين، ولكنه حدد أوصافه، والمادة التي بني منها وهي: قطع الحديد، والقِطْر "النحاس المذاب أو الرصاص" .

مما جعل العلماء والرحالة والمنقبين من خلال تنقلاتهم يرجحون أنه ["سد باب الحديد" على اعتبار أن أوصافه تنطبق تماماً على أوصاف السد الذي بناه القائد المسلم ، والعبد الصالح ذو القرنين ﷺ ونص عليها القرآن الكريم] (١) .

والأسلم ــ فيما أرى ــ هو أن نؤمن بأن السد الذي بناه ذو القرنين ﷺ، ووردت النصوص في القرآن بشأنه موجود ولا نعلم مكانه، وأن يأجوج ومأجوج يقطنون خلفه، لأن الله تعالى لم يحدد مكانه، إذ هدف إيراد القصة – وهو الاعتبار والعظة – لا يتعلق بمعرفة مكانه، ومطابقةُ النعوت والأوصاف التي ذكرها القرآن الكريم على سد "باب الحديد" لا يلزم منها بالضرورة أن يكون هو السد الذي بناه ذو القرنين، ولا يفيد الجزم بأنه هو، فالتشابه بين الأشياء أكثر من أن يُحصى !!

وما دام القرآن لم يعين مكانه ، فلا تفيدنا معرفة مكانه بشيء ، ولو كان للمعرفة به نفع أو فائدة في القصة لحدده القرآن ، وأكد عليه .

= مما يحتم علينا : أن نجعل اهتمامنا منصباً على ما اهتم به القرآن ، وأن نترك ما تركه القرآن ، ونركز على الأهداف التي من أجلها سيقت القصة ، والدروسِ المستفادة منها في حياتنا الخاصة والعامة .

---

(١) يأجوج ومأجوج ودَكُّ السد : أ / جابر عبد الرحمن علي ، ص : ٣٣ ، ط٤: القاهرة ــ دار الصفوة.

جاء في كتاب : قصص القرآن وغيره : [وقد يقول قائل : لو كان يأجوج ومأجوج وراء هذا السد الآن لاطلع الناس عليهم ، لتقدم وسائل المواصلات والاتصالات من : طائرات أسرع من الصوت ، وأقمار صناعية لا تترك بقعة من الأرض دون تصوير. وبالرغم من كل هذا لم يثبت للسد وجود؟!!. وجواباً على هذا التساؤل نقول: إن الله سبحانه وتعالى قد أخفى السد، وأخفى يأجوج ومأجوج خلفه، رغم هذا التطور العلمي الهائل ، وليس هذا بمستبعد، حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم](١) .

[ومما يؤيد إمكان هذا : ما ذكره الله تعالى في سورة المائدة من أنه سبحانه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة ، كما في قوله جل شأنه : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾(٢) ، وهم في فراسخ قليلة من الأرض يمشون ليلهم ونهارهم ، ولم يطلع عليهم الناس ، حتى انتهى أمد التيه ، لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبينوا لهم الطريق – وخرجوا من التيه – ، وربك فعال لما يريد] (٣).

أقول : إخفاء الله تعالى السدَّ عنا – رغم وجوده – يشبه ما حلّ بأبي جهل ، وشباب من قريش على الكفر ، وقفوا أمام بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليوقعوا به أذى عند خروجه، وخرج ﷺ من بينهم دون أن يراه منهم أحد ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(٤)، لأن

---

(١) قصص القرآن " دروس وعبر للدعوة والدعاة " : الأستاذ / محمد بيومي ص٤٣٠ بتصرف يسير ، ط ١ : المنصورة – مكتبة الإيمان ٢٠٠٦م .

(٢) المائدة من الآية : ٢٦ .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للإمام / محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ﷺ مج ٤/٢٠٢ – ٢٠٣ باختصار، ط: القاهرة – مكتبة ابن تيمية١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٤) سورة يس الآية : ٩ .

الله تعالى إذا أراد شيئاً كان ولا محالة، والله على كل شيء قدير(١). وهناك احتمال آخر ذكره صاحب كتاب "القصص الهادف...":[ولعل السد قد اكتسى بصورة طبيعية من فعل القِدَم والرياح ، وما تناثر عليه من تراب ، وما تراكم حوله من صخور وأحجار وأمثال ذلك، فدخل بذلك في عِدَاد الجبال الطبيعية أو أمثالها فخفيت بذلك معالمه، وضاعت آثاره، فلم يَعُدْ أحد يعلم أين هو على اليقين] (٢)، فهو إذن موجود، ولكن طُمِسَت معالمه بتقادم الزمن ، وعوامل الرياح والتعرية ، وهذا أمر محتمل غير بعيد ، حتى إذا جاء أمر الله بقرب قيام الساعة دُكَّ وسُوِّيَ بالأرض .

ما يستفاد من بناء السد :

وفي بناء ذي القرنين للسد أمران يُستفادان :

[الأمر الأول: أن المَلِك فَرْضٌ عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم(٣)، وسد فَرْجَتِهم(٤) وإصلاح ثُغُورهم(٥) (٦) .

---

(١) يُنْظَر في هذا المعنى : تفسير القرآن العظيم : للإمام / ابن كثير ٣ / ٥٦٤ – ٥٦٥ .

(٢) القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف : للعلامة الشيخ / محمد محمد المدني ، ص : ٢٣٩ ، ط: القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (د.ت) .

(٣) بيضتهم: بيضة القوم أصلهم ومجتمعهم أو جماعتهم، وموضع سلطانهم ومستقرّهم . [انظر : لسان العرب لابن منظور ١ / ٣٩٩ مادة بَيَضَ] .

(٤) فَرْجَتهم: الفَرْج: الشق بين الشيئين، وفروج الأرض: نواحيها. [المعجم الوسيط٢/٧٠٤ مادة فَرَجَ].

(٥) الثُغْر : الناحية من الأرض ، وكل فَرْجة – فتحة – في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك ، وكل عورة منفتحة وهي ما يلي دار الحرب ، وموضع المخافة من فروج البلاد – نواحيها – وأطرافها . [معجم متن اللغة : مج ١ / ٤٣٦ مادة ثَ غَ رَ] .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : للإمام القرطبي مج ٦ / ٤٢٣٠ .

الأمر الثاني: مشروعية- بل ضرورة- اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يُتركون وما هم عليه، بل يوجعون ضرباً، ويحبسون، أو يُكْفَلون ويُطلَقون كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ [(١)] (٢).

[وقد اتخذ بعض الخلفاء السجون، كما عاقب عمر بن الخطاب ﷺ بهذه العقوبة – أي عقوبة السجن – في النشوز ، والهجاء .

وهذا في الحقيقة نوع من التوقيت، والتعزير في الجرائم التي لم يترل تحديد شرعي بعقوبتها. ولا يصلح السجن أن يكون عقوبة لحدٍّ من حدود الله تعالى، كالسرقة، والقتل، والزنا، ونحو ذلك .

وقد صار السجن هو صلب العقوبات الوضعية وذلك في كافة الجرائم على اختلاف صورها وأشكالها ، كالقتل ، والزنا ، والسرقة .

وبالإضافة إلى ذلك: صارت السجون مرتعاً للشذوذ، والانحراف الجنسي، ودورةً للإجرام وذلاً وموتاً بطيئاً للسجين من جهة، وتحطيماً لأسرته من جهة أخرى، وإلا فما الذي تفعله الزوجة والأولاد أثناء غياب العائل في السجن مدة عشرين سنة مثلاً، إلى غير ذلك من المفاسد .

---

(١) هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ بن نفيل بن عبد العزى ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ ، وهاجر فهو من المهاجرين الأولين ، وشهد بدراً وبيعة الرضوان ، وكل مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، وولي الخلافة بعد أبي بكر ﷺ ، وكانت خلافته عشر سنين ، وقد قتله أبو لؤلؤة المجوسي يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. [انظر:الاستيعاب في معرفة الأصحاب٣/٢٣٥ وما بعدها (مرجع سابق)].

(٢) الجامع لأحكام القرآن : مج ٦ / ٤٢٢٩ بتصرف يسير. (مرجع سابق) .

إن السجن لا يصلح بديلاً عن العقوبات الشرعية كالجلد ، والقطع ، ولا يمكن أن يحقق شيئاً من الحِكَم ، والأهداف الموجودة في العقوبات الشرعية ، كالتطهير ، والقصاص ، والتعويض والزجر.

فإذا كان السجن على النحو الذي استُخْدم فيه في عهد عمر ﷺ وغيره من الخلفاء الراشدين فلا بأس ، وإلا كانت مفسدته أضعاف ما قد يوجد فيه من مصالح تافهة – كما نشاهد الآن في حياتنا –] (١).وإذن فعقوبة السجن التي ارتآها القانون الوضعي بديلاً عن حد القصاص ، أو الرجم ، أو الجلد ... إيثاراً منه لاستبقاء حياة المجرم – أياً كان نوع جُرْمه – أملاً في إصلاحه ، وتهذيبه هي عقوبة لا تحقق هدفها ، وشعار " السجن إصلاح وتأديب وتأهيل " ليس على إطلاقه ، فليست كل جريمة يكون السجن لها علاجاً – كما يقول الشعار– ..

فلتكن العودة إلى هَدْي مَنْ خَلَقَ الخلقَ ، وسنّ لهم وشرع ، وهو سبحانه أعلم بما يقوم أخلاقهم ، ويصلح شأنهم ، ويؤدبهم ، ويؤهلهم لمعاني الخير ، والفضيلة قولاً وفعلاً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٢).

كيف تعامل ذو القرنين ﷺ مع يأجوج ومأجوج ؟

أقول: لم يذكر القرآن الكريم أن العبد الصالح ذا القرنين ﷺ فتح قبيلتي "يأجوج ومأجوج " ، ودعاهم إلى الإسلام ، كما فعل مع سائر بلاد الدنيا في زمنه .

---

(١)عظات وعبر في قصص القرآن: أ/سعيد عبدالعظيم ص٢٣٧،ط:الإسكندرية–دار الإيمان[د.ت].

(٢) سورة الملك الآية : ١٤ .

ولعل ذلك راجع - فيما أرى - إلى سببين :

السبب الأول : أن الله تعالى لم يُرِدْ هدايتهم ، لفرط جرمهم ، وشيوع فسقهم ، وظهور فسادهم ، فطبع على قلوبهم .

السبب الثاني : يأسُ الملك الداعية ذي القرنين ﷺ من إيمانهم ، ومن ثَمَّ فلا جدوى من دعوتهم إلى دين الإسلام، إمَّا بإعلام الله تعالى له بذلك عن طريق الإلهام ، كما قال سبحانه عن رسوله نوح عليه السلام : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١).

وإما بدلالة الحال التي فطن إليها من خلال شكوى القوم حيث: السعي في أرضهم فساداً ، وإهلاكُ حرثهم ، ونسلهم ، وسلب أموالهم ، ونهب خيراتهم .

لكنه ﷺ لم يتركهم وما أرادوا ، بل أظهر لهم من معالم قيادته كملك ، فعاقبهم ببناء السد الذي كان أشبه لهم بأسوار السجون ، وأشد ، وقد قال الله تعالى في شأنه ووصفه : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾(٢).

بهذا حبسهم ذو القرنين عن القوم ، وحصر حركتهم في قبيلتهم ، فلم يستطيعوا أن يبرحوها ، وأصبحوا أشبه بالمساجين ، ولا يزالون إلى أن يأتي وعد الله تعالى .

---

(١) سورة هود : ٣٦ .

(٢) سورة الكهف : ٩٧ .

فَعَلَ ذلك الملكُ الصالح ذو القرنين ﷺ حسماً لشرهم ، واستئصالاً لشأفتهم ، متوكلاً على الله تعالى وحده ، مستعيناً به سبحانه ، ثم بما أمدّه – عز وجل – من أسباب الملك ، والعزة ، والقوة ، والغلبة ، والنصر ، والهيمنة .

وترتب على ذلك : حماية أولئك الضعفاء المسالمين ، فأمِنوا ، واطمأنوا على أنفسهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ، ودينهم الجديد " الإسلام " الذي هداهم الله تعالى إليه على يدي عبده الصالح ذي القرنين ﷺ ، بل أمِن الناسُ جميعاً من شرهم إلى أن يأتي وعد الله .

المبحث الخامس

سبل الاستفادة من قصة "ذي القرنين" رضي الله عنه للقادة[١]، والدعاة، والرعية في العصر الحاضر

أولاً: أن الحاكم أو السلطان أو رئيس الدولة يجب أن تتسم شخصيته بعدد من الصفات القيادية تميزه عن سائر الرعية.

ثانياً : ضرورة حسن استغلال الحكام للسلطة .

ثالثاً : وجوب الدعوة إلى الإسلام ، والاستمساك بتعاليمه على القادة والحكام .

رابعاً : ضرورة اهتمام القادة أو الحكام بالعلوم المادية والتجريبية ، وتوظيفها في الخير لتقوية البلاد ، ونهضتها .

خامساً : في قصة ذي القرنين ﷺ ما يشير إلى الخلافة الإسلامية.

سادساً: مجانبةُ القادةِ والحكامِ للغرور، والكبر، والتجبر، وضرورة التخلق بالتواضع، والاعتراف لصاحب النعمة بالفضل، وإسناده إليه .

سابعاً : وجوب تحلي القادة والدعاة بخلق الزهد الإسلامي.

ثامناً : يجب أن تكون الدعوة الإسلامية من الدعاة شغلهم الشاغل .

---

(١) قدمت (القادة) على (الدعاة) هنا لكونهم أحوج إلى الدروس المستفادة في هذه القصة .

تاسعاً : وجوب طاعة الرعية لحكامهم وجوباً شرعياً ، وإعلان الإذعان والولاء لهم ما داموا على الحق .

عاشراً : ضرورة الأخذ بأسباب العلم والحضارة والمدنية والقوة والتمكين ، لعمارة الكون والحياة ، وقهر أعداء الله .

الحادي عشر : بيان قيمة العمل في الإسلام .

القرآن الكريم جاء لكل العصور ، لأنه دستور الدين العالمي الخاتم ، ومن ثم : فكل ما حواه من قصص ليس لمجرد السرد، أو التسلية ، بل ليتعظ به ويعتبر كل ذي لب ، وهو الهدف الأسمى منه .

يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

هذا: ومن السبل المستفادة من قصة ذلك القائد والحاكم المسلم، والعبد الصالح، والداعية الحكيم، ما يلي :

أولاً : أن الحاكم أو السلطان أو رئيس الدولة يجب أن تتسم شخصيته بعدد من الصفات القيادية تميزه عن سائر الرعية ، أهمها :

[أ = الصبر(١): فقد كان ذو القرنين ﷺ صابراً على مشاق الرحلات ، فمثلاً تلك الحملات التي كان يقوم بها تحتاج إلى جهود جبارة في التنظيم، والنقل، والتحرك، والتأمين،

(١) آخر سورة يوسف .

إذ الأعمال التي كان يعملها تحتاج إلى جيوش ضخمة، وإلى عقلية يقظة، وذكاء وقّاد، وصبر عظيم، وآلات ضخمة، وأسباب معينة على الفتح، والنصر، والتمكين .

ب = أن تكون له مهابة(٢) ونجابة(٣) : بحيث يستشعرها من يراه لأول مرة ، وهكذا كان ذو القرنين ﷺ ، فإنه لما بلغ بين السدين ، ووجد القوم المستضعفين واستأنسوا به ووجدوا فيه مخلصاً من الظلم والقهر الواقع عليهم، بادروا بسؤال المعونة، فمن ذا الذى أدراهـــم بأنه لن يكون مفسداً مثلهم ، ومعه من القوة والعدة ما ليس مثلهم .

جـ = الشجاعة(٤) : وذلك بأن يكون قوياً جسوراً ، غير هياب من التبعات الضخمة ، والمسئوليات العظيمة إذا كان في مرضاة الله تعالى ، فإن ما قام به ذو القرنين من بناء السد على الوصف الذى ذكره القرآن الكريم كان عملاً عظيماً في ذاته ، حيث إن القوم المفسدين كانوا من الممكن أن يوجهوا إفسادهم إليه ، وإلى جنوده ، ولكنه ﷺ أقدم وأقبل غير مُدْبِر .

---

(١) الصبر : هو قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية . وقيل : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وقيل هو : ثبات القلب عند موارد الاضطراب . [انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام/أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ١٦٢/١ – ١٦٣ ، ط : القاهرة ، دار الحديث (د . ت)] .

(٢)المهابة : الإجلال والتعظيم، يقال: هابه هَيْباً ومهابة: أجَلّه وعظّمه. [المعجم الوسيط٢ /١٠٤٣]

(٣) النجابة : النباهة ، وظهور الفضل – التفوق – على المثل ، والنجيب : الفاضل على مثله – أي المتفوق عليه – ، النفيس في معدنه . [المعجم الوسيط ٢ / ٩٣٧] .

(٤) الشجاعة: هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يُقْدِم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال ضد الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين. [التعريفات للجرجاني ص١١٠(مرجع سابق)].

د = التوازن في الشخصية : فلا تعكر شجاعته على حكمته ، ولا ينقص حزمه من رحمته ، ولا حسمه من رفقه وعدالته ، فهو هو ذو القرنين ﷺ ، لم تكن الدنيا كلها – وقد سُخّرت له – كافية لإثنائه عن تواضعه وطهارته وعفته .

هـ = كثرة الشكر لله تعالى(١) على نعمائه، وتوفيقه : بأن يكون صاحب قلب حي موصولاً بالله تعالى ، فذو القرنين ﷺ لم تُسْكِرْهُ نَشوةُ النصر، وحلاوةُ الغلبة والظفْر بعدما أذل كبرياء المفسدين ببناء السد، بل نسب الفضل إلى ربه سبحانه، وقال﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾(٢)] (٣) .

وهكذا كان ذو القرنين ﷺ متخلقاً بهذه الصفات ، بل هي بعضٌ مما كان يتخلق به من حميد الخصال ، وجميل الفعال ، وبمجموع هذه الصفات مجتمعةً مكتملةً في شخص الحاكم المسلم ، والداعية الحق – بصفة عامة – يصبح قيادياً مهيباً مسموع الكلمة في قومه عن طواعية وحب، كما أنه يمثل لرعيته بهذه الخِلال الطيبة مثلاً أعلى ، يتخلقون بأخلاقه ، ويحرصون على بقائه ولو كلفهم ذلك حياتهم ، ومن ناحية أخرى يصبح مهيب الجانب من

---

(١) الشكر يشكران : الأول : شكر باللسان ، وهو الثناء على المنعم ، والآخر شكر بالجوارح ، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق ، والشكور : الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً . [انظر : التوقيف على مهمات التعاريف : للإمام محمد عبد الرؤف المُناوي ، تحقيق د / محمد رضوان الداية . ص : ٤٣٥ ، فصل الكاف ط١ " بيروت – دار الفكر ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠م].
وقيل : الشكر : ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة . [انظر : مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية ٢ / ٢٤٤ " مرجع سابق "].

(٢) الكهف من الآية : ٩٨ .

(٣) فقه النصر والتمكين : د / علي محمد الصلابي ص١٢٧ – ١٢٨ بتصرف ، ط ١ : القاهرة – دار ابن الجوزي ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

القوى الخارجية ، تخشى بأسه ، ولا تستصغر شأنه ، وبالتبعية تتعدى تلك النظرة الخارجية إلى رعيته ، ودولته.

ثانياً : ضرورة حسن استغلال الحكام للسلطة :

ومن صوره :

أ = الرحمة(١): بأن يستعمل الحاكم هذا الخُلق السامي مع رعيته ، خصوصاً مع الضعفاء منهم بإيصال الخير إليهم، والتماس الأعذار لهم عند وجود مبرراتها، حتى يشعروا بآدميتهم وكرامتهم.

ب=العدل(٢):فلا يأخذْ أكثر مما هو له، ولا يُقدِّمْ مآربَه الشخصية على المصلحة العامة والعليا للدولة والشعب، بل يكون أول من يطبق على نفسه مبدأ " من أين لك هذا ؟".

= لا يحابي أحداً من أقاربه، ومعارفه، وأصدقائه على حساب الحق أو حقوقِ الآخرين.

= يراعي مبدأ العدل حتى مع الأعداء ، فلا يظلم العدو لمجرد مخالفته في الدين ، ولا يأخذ بمبدأ التَّشَفِّي ، إلى غير ذلك من صور العدالة .. يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا

---

(١) الرحمة:إرادة إيصال الخير.[التعريفات:للجرجاني ص٩٧]،أو إرادة إيصال الخير إلى الغير، مع السعي لتحقيقه بالوسائل المشروعة .

(٢) العدل : الإنصاف . وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه . [المعجم الوسيط ٢ / ٦٠٩] .

أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(١).

بيان مراد الآية الكريمة :

في هذه الآية الكريمة دعوة للمؤمنين ، وللقادةِ منهم خاصة إلى :

= إقامة العدل .

= التمكين لتحقيق العدل بإقامة الشهادة على الظالم، ابتغاء لوجه الله تعالى، دون تحيز أو مجاملة أو محاباة، ولو كانت تلك الشهادة على الإنسان ذاته، أو والديه، أو سائر أقربائه، فليست القرابة أو المنفعة الشخصية مسوغاً شرعياً لمنع إقامة الشهادة بالحق .

= ليس الغنى والفقر علة شرعية تمنع من إقامة الشهادة على الظالم ، فما دام ظالماً أو مداناً فقد وجبت إقامة الشهادة عليه ، ولا اعتبار لأسباب أخرى من غنى أو فقر أو غيره ، فلا تمنع إقامة الشهادة على الغني الظالم محاباة لغناه ، ولا تمنع عن الفقير الظالم تعاطفاً معه لفقره ..

جاء في التفسير المنير :

[في هذه الآية أمر عام بالقسط والعدل بين الناس ، لأن قوام المجتمع لا يكون إلا بالعدل ، وحفظُ النظام ، ودوام الملك لا يتم إلا به ، فالعدل أساس الملك الدائم .

---

(١) النساء : ١٣٥

والعدل عام يشمل: الحكمَ بين الناس، والعملَ في أي مجال ، وفي الأسرة ، فيُسَوِّي بين الحاكم أو الوالي أو الموظف في الأحكام ، والمجالس ، وقضاء الحوائج ، كما يُسَوِّي كلُّ صاحب عمل بين عماله ، ويُسَوِّي الرجل بين زوجاته وأولاده في المعاملة والهبة] (١).

= الترهيب من العدول عن إقامة الشهادة والعدل ، اتباعاً لهوى ، أو بغضاً لأحد ، أو تعصباً لقرابة فإن الله تعالى مطلع على العباد ، عليم بما يكون منهم ، ومجازيهم على أعمالهم ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ، وهو قوله تعالى : ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢)

[قال ابن عباس–رضي الله عنهما– هو في الخَصمَيْنِ يجلسان بين يدي القاضي فيكون ليّ القاضي وإعراضه لأحدهما على الآخر، فاللَّيُّ على هذا مُطْل الكلام وجرّهُ حتى يفوّتَ فصلَ القضاء وإنفاذَه للذي يميل القاضي إليه.

وقال ابن عباس– رضي الله عنهما– أيضاً: هي في الشهود يَلْوِي الشاهد الشهادة بلسانه ويُحرِّفُها فلا يقول الحق فيها ، أو يُعرض عن أداء الحق فيها. ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة، وكل إنسان مأمور بأن يعدل] (٣).

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : أ.د / وهبة الزحيلي ٥ / ٣١١ ، ٢١٣ ط ١ : بيروت – دار الفكر ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(٢) النساء : من آية ١٣٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن : للإمام / شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي مج٢ / ٢٠٧٥ ، ط١ : القاهرة ـ دار الغد العربي ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

[ومنه قول عبد الله بن رواحة(١) ﷺ لما بعثه النبي ﷺ يَخْرِصُ(٢) على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فقال: "والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه ﷺ وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض(٣)][٤]. وإذا كان رسول الله ﷺ قد مات، فإن رب رسول الله ﷺ حي لا يموت، والقرآن والسنة بين ظهرانينا مادامت السموات والأرض، ومن ثم لا عذر لأحد بتة أن يعدل عن أحكامهما، وتوجيهاتهما، وقد قال ﷺ : " إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله ، وسنتي"(٥).

---

(١) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك ، الشاعر المشهور ، يكنى أبا محمد ، ويقال : كنيته أبو رواحة ، وليس له عقب – ذرية – ، من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدراً وما بعدها، إلى أن استشهد بمؤتة . روى عنه : ابن عباس ، وأسامة بن زيد، وأنس بن مالك ، وكان عالماً ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين المقداد.[انظر: الإصابة في تمييز الصحابة : للإمام ابن حجر ٦ / ١٣٨] .

(٢) يخرص : يقال : خَرَصَ الشيءَ : قَدَّرَهُ بالظن ــ أي الظن الراجح ــ [المعجم الوسيط : ج١/٢٣٥ مادة : " خَرَصَ "] .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح ٢٣ / ٢١٠ ، حديث رقم (١٤٩٥٣) ، ط١: بيروت ــ مؤسسة الرسالة ــ ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١م ، قال محققه الشيخ / شعيب : إسناده قوي على شرط مسلم، وصححه الشيخ الألباني في "غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام" ، ص : ٢٦٤ ، برقم (٤٥٩) ، ط٣: بيروت ــ المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ج١/٥٦٥ ، ط: القاهرة ــ مكتبة دار التراث (د.ت).

(٥) المستدرك على الصحيحين : للإمام الحاكم النيسابوري ١ / ١٧٢ رقم (٣٢٠) ط : بيروت – دار الكتب العلمية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ورواته عن آخرهم أثبات ثقات ولم يخرجاه . وهو من حديث أبي هريرة ﷺ .

ثالثاً : وجوب الدعوة[١] إلى الإسلام، والاستمساك بتعاليمه على القادة والحكام :

فلقد سخر ذو القرنين ﷺ ما آتاه الله تعالى من الملك والسلطان ، وتوابعه من القوة ، وكثرة الجند ، والسلاح في رحلاته الثلاث للدعوة إلى دين الله عز وجل – وهو الإسلام – ، ونشر منهجه في المعمور من الأرض حيث : مقاومة الظلم ، ومحاربة الرذيلة ، ونشر العدل والرحمة والفضيلة ، وبناء الحضارة القائمة على الإيمان الحق بالله تعالى ، والأخذ بأسباب الحضارة ، والخضوع لسنن الله تعالى في الحياة والكون ..

ويلزم من ذلك :

ضرورة أن يكون الحكام على علم بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً ، وعلى حظ وافر بالسنة النبوية وعلومها ، وسائر مصادر الدعوة والتشريع بما يحقق الكفاية ... يقول الله جل وعلا ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢] .

[قال ابن نجيح[٣]: يعني الولاة .

---

(١) سبق تعريف الدعوة في التمهيد ، حيث : التعريف بمفردات عنوان البحث .

(٢) الحج آية : ٤١ .

(٣) هو المحدث الإمام أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح البغدادي البزار ، ولد سنة ٢٦٣هـ ، وسمع يحيى بن جعفر، وأبا قِلابة، ومحمد بن الفرج الأزرق، وأبا العيناء، وعدة.وسمع منه: ابن رزقويه ، وابن الفضل القطان وأبو علي بن شاذان ، والحاكم وجماعة ، وصفه ابن رزقويه بالحفظ ، مات في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاث مائة.[انظر:سيرأعلام النبلاء:للإمام شمس الدين الذهبي ١٥/٥١٣-٥١٤].

وقال الضحاك[١]: هو شرط شرطَه الله تعالى على من آتاه الملك ، وهذا حسن .

وقال سهل بن عبد الله[٢] : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على السلطان ، وعلى العلماء الذين يأتونه] [٣].

[إن الناس في حاجة إلى من يسوسهم سياسة حكيمة : بأن يقودهم قيادة راشدة إلى سبل السلام ، ويدعوهم على هدي وبصيرة إلى الله تعالى دعوة مخلصة ، ويوجههم بالرفق واللين حيناً ، وبالشدة حيناً إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ، وإن ذا القرنين ﷺ قد أوتيَ من الحكمة فعَلِمَ وعَلّم ، وسار في الناس سيرة حسنة ، سجلها الله تعالى له في أعظم الكتب السماوية ، لتكون ذكرى لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر.

---

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ، وليس بالجود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه ، وكان له أخوان : محمد ، ومسلم ، وكان يكون بعيش بتلخ وسمرقند ، حدث عن أبي سعيد الخدري ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وعن الأسود ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وطاووس ، وطائفة ، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهما ، وحديثه في السنن لا في الصحيحين ، قال سفيان الثوري : كان الضحاك يُعلم ولا يأخذ أجراً، وقد ضعفه يحيى بن قطان ، وقيل : كان يدلس . [سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٨ – ٥٩٩] .

(٢) هو سهل بن عبد الله بن يونس ، أبو محمد التستري ، الصوفي الزاهد ، صحب محمد بن سَوَّار ، ولقى في الحج ذا النون المصري وصحبه ، له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة ، وقدم راسخ في الطريق ، توفى سهل بن عبد الله في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومئتين ، ويقال : عاش ثمانين سنة أو أكثر، سمته: الزاهد المحدث . [سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ باختصار . وراجع : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان : مج ٢ / ٤٢٩ – ٤٣٠ رقم (٢٨١) ط : بيروت – دار صادر (بدون تاريخ) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : للإمام القرطبي مج ٦ / ٤٦٠٤ (مرجع سابق) .

فما أحوج الناس في هذا العصر إلى رجل قد اكتملت فيه سمات الرجولة ، وبَطَلٍ قد اجتمعت فيه معالم البطولة ، وإنسان قد ارتقت نفسه إلى معاني الإنسانية في أسمى صورها ، وأبهى معانيها] (١).

هذا : والحاكم حينما يجمع بين القيادة والدعوة إلى الله تعالى يكون تأثيره أقوى من غيره، لكونه يملك السلطة التنفيذية، ويكون الاقتداء به على نطاق أسرع وأشمل ، لأن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، لاسيما إذا كان عادلاً ، ويمتلك أدوات التبليغ من العلم والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

وفيه إشعار للرعية برفعة شأن العمل الدعوي ، حيث قام به أرفعهم شأناً ، وهو الراعي أو القائد أو ولي الأمر .

فالدعاة هم عِلْيَة القوم وخاصتهم شرعاً ، بشرط العمل بالعلم ، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

وفي الآية الكريمة: شرف الانتساب للعمل الدعوي، والتباهي به، تحدثاً بنعمة الله تعالى.

وفيها: ردٌّ على من ينظر إلى الدعاة نظرة دون المستوى اللائق بهم ، ودون المكانة التي بوَّأهم الله تعالى إياها .

---

(١) قصص القرآن : أ.د / محمد بكر إسماعيل ص٣١٠ – ٣١١ بتصرف يسير (مرجع سابق) .

(٢) سورة فصلت : آية ٣٣ .

رابعاً: ضرورة اهتمام القادة أو الحكام بالعلوم المادية والتجريبية، وتوظيفها في الخير لتقوية البلاد، ونهضتها:

[فإننا نلاحظ من الآيات القرآنية أن ذا القرنين ﷺ وظف علوماً عديدة في دولته، ومن أهم هذه العلوم:

١ – علم الجغرافيا: حيث نجد ذا القرنين ﷺ كان على علم بتقسيمات الأرض، وفجاجها، وسبلها، ووديانها، وجبالها، وسهولها، لذلك استطاع أن يوظف هذا العلم في حركته مع جيوشه شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، ولا يخلو الأمر أن يكون في جيشه مختصون في هذه المجالات] (١).

[٢ – كان ﷺ صاحب خبرة ودراية بمختلف العلوم المتاحة في عصره، يدل على ذلك: حسن اختياره للخامات، ومعرفته بخواصها، وإجادته لاستعمالها، والاستفادة منها.

فقد استعمل المعادن على أحسن ما خلقت له، ووظف الإمكانات على خير ما أتيح له: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾(٢).

٣ – كان ﷺ واقعياً في قياسه للأمور، وتدبيره لها، فقد قَدَّرَ حجمَ الخطر الذي يَحْدِق بأهل الشمال، وقدر ما يحتاجه من علاج، فلم يجعل السور من الحجارة، فضلاً عن الطين واللَّبِن، حتى لا ينهار لأدنى عارض، أو عند أول هجوم، ولهذا باءت محاولات القوم

---

(١) الحُكْم والتَحاكم في خطاب الوحي: أ / عبد العزيز مصطفى كامل ص ١٢٦، ط١: دار طيبة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٢) الكهف: ٩٦.

المفسدين بالفشل عندما حاولوا التغلب على ما قهرهم به ذو القرنين ﷺ ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[١][٢].

وفي هذا دحض لفرية أعداء الإسلام بحصر رسالة الدين الإسلامي في الطقوس والشعائر عبر دور العبادة ، وأنه لا علاقة له بنهضة الدول ، ولا يصلح أن تقام به الدنيا ، وتنهض به في أي مجال من مجالاتها ، فالتاريخ يكذبهم ، وهو خير شاهد ، إن الإسلام هو دين الله عز وجل ، جاء للدنيا والآخرة معاً ، كيف لا وقد جعل الدنيا مزرعة للآخرة ..؟!!

خامساً : في قصة ذي القرنين ﷺ ما يشير إلى الخلافة الإسلامية[٣] :

ووجه الدلالة من ذلك: أن ذا القرنين– كما تبين من الدراسة– مَلَك الدنيا في عهده، ودعا أهلها إلى الإسلام، وكان تحت إمرته حكام للأقاليم التي فتحها، يدينون له بالتبعية والولاء : ديناً، ونظاماً، ومنهاجاً ..

وكان ﷺ يمثل لهم المرجعية العليا من خلال ما شرع الله تعالى ، وفي عهده توحدت الأقاليم والبلاد التي فتحها تحت راية واحدة ، هي راية الإسلام – رغم تعدد تلك الأقاليم والبلاد وتباعدها – .

---

(١) الكهف : ٩٧ .

(٢) فقه النصر والتمكين : أ.د / علي محمد الصلابي ص١٢٦ ، ١٢٧ باختصار .

(٣) الباحث ليس ممن ينادون بعودة الخلافة الإسلامية ، لا رغبة عنها ، ولا اعتراضاً عليها ، – حاشا لله – ولكن لتعذرها ، أو لصعوبة عودتها في هذا العصر ، وإن كان يتمنى عودتها ، ولكن بالسبل السلمية ، لا بإراقة الدماء ، وضرب الرقاب ، ويكتفي الباحث بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في كل إقليم إسلامي على حده ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، والرفق واللين ، والمجادلة بالتي هي أحسن .

وهذه المعاني لا تخرج عن مفهوم الخلافة ، وخصائصها في الدين الإسلامي الخاتم إذ الخلافة الإسلامية تعني:[رئاسة عامة في أمر الدين، والدنيا، خلافةً عن النبيﷺ(١) ومما يدخل في اختصاصات النبوة : سياسة الدنيا ، وإصلاحها بالدين] (٢).

خصائصها :

وخصائص الخلافة الإسلامية تتمثل ضمن ما تتمثل في الأمور التالية :

[١ – التكامل بين الشئون الدينية، والدنيوية، بحيث تكون الخلافة الإسلامية: سياستها، وقوانينها، وإدارتها، وقيادتها، وعلاقاتها السلمية، والحربية في إطار أصول الدين الإسلامي، وفروعه ..

٢ – لزوم تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية .

٣ – وَحْدة العالم الإسلامي] (٣) ، شريطة أن يوجد من يُحسنون تطبيق الإسلام في هذه المجالات ، حتى لا يَدَعُوا فرصة لأصحاب التيارات الوضعية يتفوهون بعدم صلاحية الإسلام كنظام للحكم ...!!!

---

(١) فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية: أ.د / عبد الرزاق أحمد السنهوري ص ٦٥ ، ترجمة :أ.د / نادية عبد الرزاق السنهوري ، ط ٣ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .

(٢) البيعة في النظام السياسي الإسلامي ، وتطبيقاتها في الحياة السياسية المعاصرة : أ.د / أحمد صديق عبد الرحمن ص ٥٥ ط ١ : القاهرة – مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٣) فقه الخلافة وتطورها : أ.د/السنهوري ص ٦٦ ، وينظر البيعة في النظام السياسي الإسلامي : أ.د / أحمد صديق عبد الرحمن ص ٥٦ .

أطوار الخلافة :

[ولقد قامت الدولة الإسلامية الأولى بإمامة الرسول ﷺ منذ قدومه إلى المدينة المنورة عقب الهجرة ، وظل نظام الخلافة الإسلامية على الأساس الذي أقامه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون المهديون في شكل أو آخر حتى سنة ١٩٢٤م، حيث آخر رمز لنظام الخلافة الإسلامية في عهد الدولة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك(١)] (٢).

أقول :

= إن نظام الحكم في الإسلام بما انتظمه من: مفاهيم، وخصائص ، ودعوة إلى الوحدة بكل معانيها وفي شتى المجالات على هذا النسق لهو نظام حَرِيّ بالاحتفاء والتطبيق ، وعهودُ النبوة والخلافة الراشدة شاهدة بما حققه ذلك النظام الفريد الفذ من إنجازات وفهضة لا نظير لها عبر القرون...،ولا غرو فهو نظامُ مَن خلقَ الخلقَ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٣) المهم أن يوجد من يستطيعون فهمه فهماً وسطياً ، وتطبيقه على الوجه الصحيح

---

(١) ولد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٨٨٠م في مدينة سلانيك (مدينة اليهود) وكان حاكماً لتركيا ، واستعمل في حكمه الآتي : استعمل البطش والإرهاب وسيلة لإخماد أنفاس الناس ، وألغى الخلافة الإسلامية ، واستورد القوانين الوضعية الأوربية ، وألغى الحروف العربية ، ومنع تعدد الزوجات ، وأدخل التقويم الغربي بدل التقويم الهجري ، وألغى عيد الفطر والأضحى ، وجعل يوم الأحد هو العطلة الرسمية الأسبوعية بدل الجمعة ، ومنع الحج والحجاب . وفي أخريات حياته أصيب بمرض الكبد بسبب الكحول الذي في الخمر ، ومات يوم الخميس ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨م الساعة التاسعة والنصف وخمس دقائق، ورحل أتاتورك من الدنيا مرتداً عن الإسلام كافراً ملعوناً من السماء والأرض. [انظر: المنارة المفقودة: د/ عبد الله عزام ص ٦١ وما بعدها باختصار ، ط: بيروت– دار ابن حزم ١٤١٠هـ/١٩٩٠م] .

(٢) البيعة في النظام السياسي الإسلامي : ص ٥٦ (مرجع سابق) .

(٣) سورة الملك آية : ١٤ .

، فلا إفراط ولا تفريط. وإذا كان قيام الخلافة الإسلامية أمراً متعذراً في ظل الظروف الراهنة فليكن كل رئيس أو حاكم مسلم في دولته خليفة عن سيدنا رسول الله ﷺ في حفظ الدين، وإقامة الدنيا به ، وهذا أمر ليس دونه خرطُ القتاد(١) ، بل ميسور المنال ما خلصت النوايا ، وصدقت العزائم ، وكان التوكل على الله تعالى مأخوذاً بحقه من مباشرة الأسباب ، وقد قيل : " لا يسقط الميسور بالمعسور ، وما لا يدرك كله لا يترك كله". وجملة القول : لن يصلح هذا الزمان إلا بما صلح به أولُه .

سادساً : مجانبةُ القادةِ والحكام للغرور(٢) ، والكبر(٣) والتجبر، وضرورة التخلق بالتواضع(٤) ، والاعتراف لصاحب النعمة بالفضل ، وإسناده إليه :

قال تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥)، وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(٦) ، وهذا ما عبر عنه ذو القرنين ﷺ على حد ما ذكره القرآن الكريم على لسانه : ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي

---

(١) القتاد: نبات صلب، له شوك كالإبْر ، ويسمى في السودان "الخشَّاب"، ومنه يستخرج أجود الصمغ، وفي المثل: "مِنْ دونه خرطُ القتاد، ويضرب للشيء لا ينال إلا بمشقة عظيمة، واحده: قتادة، وبها سمي الرجل.انظر:المعجم الوسيط٢/٧٤١،مادة "قتد"مرجع سابق،ومعجم متن اللغة مج٤/٤٩٢،مرجع سابق].

(٢) الغرور : إخفاء الخدعة في صورة النصيحة . [انظر : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ مج ١١ / ٥٠٤٨ ط ٤ : جدة – دار الوسيلة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٦م] .

(٣) الكبر:استعظام النفس،ورؤية قدرها فوق قدر الغير.[انظر:إحياء علوم الدين:للإمام/أبي حامدالغزالي٣/٣٤٥] .

(٤) التواضع:الاستسلام للحق،وترك الاعتراض على الحكم.[راجع:مدارج السالكين:للإمام/ابن قيم الجوزية٦/١٣٤]

(٥) النحل : ١٨ .

(٦) النحل : ٥٣ .

حَقًّا﴾ (١) [أي بناء هذا السد من فضله وإحسانه سبحانه على خلقه، وهذه حال الخلفاء والصالحين، إذا مَنَّ الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد المكاني الكبير،قال:﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾(٢)، بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم تجبراً وبطشاً، كما قال قارون لَّما آتاه الله من الكنوز ما تعجز بحمل مفاتحها الجماعة القوية،قال:﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾(٣)](٤) .

أما ذو القرنين ﷺ فلم يتخذ من هذه الفتوحات التي بوَّأه الله تعالى إياها وسيلة للتجبر والتكبر ، وظلم الرعية ، واستغلالهم في تحقيق مآرب شخصية، أو غُنْم، بل تَعَامَلَ مع المؤمن المطيع بالرحمة والفضل ، وخفض الجناح ، ومع العاصي والفاسق المُصِرِ على عصيانه وفسقه بالعدل، ولم ينس وهو في قمة مجده وانتصاراته مصدر النعمة عليه ، وهو الله تعالى ، ولم تَشْغَله زهرةُ الدنيا وبهجتُها عن قدرة الله تعالى على دك السد ، وعن البعث واليوم الآخر، وأنه راجع إلى الله تعالى للحساب والجزاء، بل قال على ما ذكر القرآن: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(٥) .

---

(١) الكهف : ٩٨ .

(٢) سورة النمل ، من الآية : ٤٠ .

(٣) سورة القصص ، من الآية : ٧٨ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للعلامة الشيخ / عبد الرحمن ناصر السعدي ج ٣ / ٢٠٥ ، بتصرف يسير ط: الزقازيق ـــ دار الصفا (بدون تاريخ) .

(٥) الكهف : ٩٨ .

[وبعد : فماذا جنى ذو القرنين لنفسه من كل هذه الرحلات الطويلة الشاقة ، والحروب المرهقة ، والأعمال الهائلة ؟!

لو أنه كان يعمل لمالٍ لكان أغنى أهل عصره، لكنه كان مؤمناً بالله تعالى ، يبتغي رضاه ، ويعمل لنيل مثوبته في الدار الآخرة ، فقضى حياته في إصلاح الأرض وعمارها ، ودعوة الناس إلى الله ، وإقامة معالم العدالة بينهم. فاستحق أن ينوِّه الله تعالى بشأنه في القرآن الكريم ، ليقتدي بسيرته كل راغب في المجد ورفعة الشأن ، ونباهة الصَّيْت] (١) .

[وهكذا تنتهي مسيرة ذي القرنين ﷺ ، يصحبه فيها عقل حكيم وقلب سليم ، متخذاً إلى غاياته الأسباب المستقيمة مع العدل والإحسان .

إنه يضع في مسيرته تلك آثارَ أقوام الإنسان الرشيد ، المهتدي بعقله ، الموقظ لضميره ، فكاد الإنسان بتحريك ملكاته ، وإطلاق قوى الخير فيه – كاد – يتعادل ميزانُه مع ميزانِ الإنسان الذي يتلقى فيوض العلم العلوي ، ويُقيم خطواته على هديها.

وهكذا يستطيع الإنسان أن يُثبت أنه كائن له إلى العالم العلوي سبيل ، وأنَّ بينه وبين الملأ الأعلى طريقاً يصل ما بين الأرض والسماء ..!!] (٢).

وأقول :

إن رجلاً يملك الدنيا في عهده بكامل الصلاحيات، ويزهد فيها، ويُنشئ حضارة أبرزها: التمكين للدعوة إلى الإسلام والإيمان، وما أعقبها من تحويل الإنسان من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الواحد الديَّان، وتحقيق الأمن والأمان، وبناء السد على نحو ما وصف

---

(١) ذو القرنين : أ / محمد أحمد برانق ص : ٢٨ ، ٣٠ (مرجع سابق) .

(٢) التفسير القرآني للقرآن: للعلامة الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب مج ٤/١٦/ ٧١١ (مرجع سابق)

القرآن، وتحقيق انتصارات فائقة متلاحقة دون أن يصيبه شيء من الغرور أو الكبر أو التجبر، ويزيده ذلك تواضعاً ورحمة برعيته، وينسب الفضل في كل ذلك إلى مصدره، وهو الله- جل وعلا- ، لهو رجل لا نملك حياله إلا أن نردد قول الله سبحانه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)، فأين قادة الدول الإسلامية الآن من ذلك القائد العظيم !!!؟

سابعاً : وجوب تحلي القادة والدعاة بخلق الزهد الإسلامي(٢) :

فلقد تبين من الدراسة لموضوع البحث أن ذا القرنين ﷺ في الرحلة الثالثة (الأخيرة) عمل على تحقيق الأمن للقوم الذين نزل فيهم ، وذلك من خلال السد الذي أقامه لهم ، مستعيناً بخبرة من معه من العلماء ، والمهندسين ، والفنيين في عهده ... ، وذاك جهد يستحق عليه الأجر هو ومن معه من الرجال ، وهو أمر فطن إليه القوم (أهل الشمال) ، فعرضوا عليه أجراً يحدده هو قبل أن يشرع في بنائه ، لكنه ﷺ أبى إلا أن يقيمه متطوعاً انطلاقاً من شعوره بواجبه حيالهم كزعيم وقائد، ولم يطلب منهم سوى أن يساعدوه بقوتهم البدنية والعضلية، وهو ما كان ، يقول القرآن مسجلاً المحاورة الموفقة التي دارت بينه وبين القوم : ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٣) ، وكأن لسان حاله يقول لهم : إنني لا أتجول في أرض الله تعالى من أجل مال أجمعه ، فإن الله عز وجل أقامني

---

(١) المائدة : من الآية ٥٤ .

(٢) الزهد في الإسلام: أن تملك الدنيا بقلبك وهي في يدك.وقيل: هو خلو القلب عما خلت منه اليد[معجم المصطلحات الصوفية:أ.د/عبدالمنعم الحفني ص١٢١ط:بيروت-دارالمسيرة١٤٠٠هـ/١٩٨٠م] .

(٣) الكهف : ٩٤ ، ٩٥ .

فيها لما هو خير من المال ، وهي القيادة وتسخيرها للدعوة إلى دينه ، والتمكين له في الأرض ، بنشر الرحمة والعدل ، وما منحني الله من مال خير من أموالكم وخَرْجكم ..

وما أحوج القائد والداعي المسلم إلى الالتزام بخلق الزهد الإسلامي ، والتحرر من الحرص والطمع ، فإن المدعو إذا لحظ خلق الزهد متأصلاً في الحاكم والداعي قولاً وسلوكاً ، وأنه لا يصرفه عن دعوته عرض من أعراض الدنيا ، عرف مصداقيته ، فلا يملك إلا الولاء له ومبايعته ، والإذعان لدعوته ..

ثامناً : يجب أن تكون الدعوة الإسلامية من الدعاة شغلهم الشاغل :

تستغرق جُلَّ اهتمامِهم وأوقاتهم ، نظرياً وعملياً ، وذلك بتزودهم بما يلزم لها من إخلاص الوِجهة لله جل وعلا ، والتسلح بالعلم النافع ، والتزين بفن التبليغ وجمال التعبير ، حتى يتحقق لها النجاح على النحو المرتَجَى والمأمول على أرض البسيطة ، اقتداءً بما كان عليه سيد الدعاة وإمامهم ﷺ حيث أمْرُ الله تعالى له بقوله جل شأنه : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١) .

في هاتين الآيتين الكريمتين يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لأمته، وورثته من الدعاة والحكام المسلمين مخبراً عن نفسه وحاله مع ربه : [﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ التي أقوم بأدائها المفروض منها والمسنون ، وغيرها من سائر العبادات كالحج ، وما آتيه في حياتي ، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح كله لله رب العالمين، لا أتوجه بشيء منه لغيره سبحانه﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

والآية جامعة لكل الأعمال الصالحة التي هي غرض المؤمن الموحِّد من حياته ، وذخيرته لمماته ، ويكون فيها الإخلاص لله رب العالمين .

فينبغي للمؤمن أن يُوطِّنَ نفسَه على أن تكون حياته لله ، ومماته لله ، فيتحرى الإخلاص والخير والصلاح والأصلح في كل عمل من أعماله ، ولا يحرص على الحياة لذاتها ، فلا يرهب الموت ، فيمتنع عن الجهاد في سبيل الله ، كما أن عليه أن يقيم ميزان العدل ، فيأخذ على أيدي أهل الجور ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر](١).

تاسعاً : وجوب طاعة الرعية لحكامهم وجوباً شرعياً :

وإعلان الإذعان والولاء لهم ، ما داموا على الحق : وذلك لإعانتهم على التمكين للعدل ، واقتلاع الظلم والجور ، فإن طاعتهم آنئذ طاعة لله تعالى ولرسولهﷺ ، وعصيانهم عصيان لله تعالى ولرسوله ﷺ ، يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢).

بيان مراد الآية الكريمة :

وفي الآية الكريمة [أمر للمؤمنين أن يطيعوا الله ، ويطيعوا رسوله بالتمسك بالكتاب والسنة ، وأن يطيعوا الحكام إذا كانوا مسلمين ، متمسكين بشرع الله ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

---

(١) تفسير المراغي : للشيخ / أحمد مصطفى المراغي ، مج٣ / ٨ / ٨٨ ، ٩٠ باختصار ، ط٣: دار الفكر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) النساء : ٥٩ .

وفي قوله تعالى : "منكم" دليل على أن الحكام الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا مسلمين حساً ومعنى ، لحماً ودماً ، لا أن يكونوا مسلمين صورة وشكلاً] (١).

والعدل الذي يريده الإسلام من الحكام المسلمين – كما أسلفت – هو العدل بين الناس جميعاً، لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم .

يدل لذلك:قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (٢).

وألحظ هنا : أن الله تعالى قال : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ ولم يقل " بين المؤمنين " وذلك للدلالة على وجوب تحري الحاكم شموليةَ العدل لجميع الرعية: للمؤمن والكافر، والصديق والعدو، والأبيض والأسود ، والعربي والأعجمي ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، والضعيف والقوي ....

إنني أتحدى أن يوجد قانون بَشَريُّ المصدر يسمو إلى هذه الدرجة من العدالة ،

ويدعو إلى العدل المطلق مع الإنسان لكونه إنساناً أو آدمياً فقط ، دون نظر إلى العداوة ، أو اختلاف الدين ، أو الجنس ، أو اللون ، أو الوطن ، ودون نظر إلى عدم وجود المودة، والواقع بذلك شاهد حيث النزعة العنصرية في الغرب والشرق الملحد ، تلك التي دمرت أواصر الأخوة الإنسانية، وأجَّجَت نار العداوة والبغضاء بين بني الإنسان ، واستباحت الدماء ، والأعراض ، وأذلت آناف الإنسان الآدمي المكرَّم ..!!

---

(١)صفوةالتفاسير:للشيخ/محمدعلي الصابوني مج١/٢٨٥ط٤:بيروت-دارالقرآن الكريم١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

(٢) النساء : ٥٨ .

عاشراً: ضرورة الأخذ بأسباب العلم والحضارة والمدنية والقوة والتمكين، لعمارة الكون والحياة، وقهر أعداء الله :

فإن هذا لا يتعارض مع التوكل على الله تعالى ، فالمؤمن الحق يعلم أن المؤثر هو الله تعالى وليس السبب، وأنه قد يتحقق السبب، ويتخلف المسبَّب، والواقع بذلك شاهد، وملتمس. وفي هذا دحض لفرية الأعداء برمي الدين الإسلامي بالتخلف !!

فليس معنى الأخذ بالأسباب عند المسلم أن يركن إلى السبب ، ويعتمد عليه ، دون المسبِّب سبحانه ، إن اعتماد المسلم كلية إنما هو على الله تعالى ، والأخذ بالأسباب ما هو إلا طاعة للمسبب ، حيث أمر بالأخذ بها فقال جل شأنه : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

على أن هذا لا يغض أبداً من قيمة الأسباب ، فمباشرتها أمر واجب شرعاً ، لأنها من سنن الله تعالى المعتادة ، والمعهودة في الكون ، وهي ارتباط المسبب بالسبب ، واحترام سنن الله أمر لازم دينياً ودنيوياً ، وذلك إكباراً لجلال الله تعالى من جهة ، وضماناً لانتظام حركة الحياة من جهة أخرى ، وتوكلُ العبد على الله جل شأنه في أمر ما دون مباشرته الأسباب الموصلة إليه لا يُعتد به شرعاً ، ولا يُسمى آنئذ توكلاً ، بل تواكلاً ، وصاحبه آثم عاص لله تعالى ، لعدم طاعته أمر الله بالأخذ بالأسباب .

الحادي عشر: بيان قيمة العمل في الإسلام:

ويبدو ذلك من رفض ذي القرنين ﷺ أخذ أجر من أهل الشمال على بناء السد أو الردم ودعوته إياهم إلى العمل، وإلى مشاركته ومشاركة جنوده وأتباعه في البناء، وهو ﷺ

---

(١) التوبة آية : ١٠٥ .

[يحاول أن يخرجهم من عزلتهم ، ويكشف لهم عن القوة الكامنة بداخلهم، وهم لا يشعرون بها، وهي قوة الحركة والعمل المنظم الهادف.

وبعضُ الباحثين يظنون أن أهم شيء فعله ذو القرنين لهؤلاء الناس أنه بنى لهم سداً كبيراً ؛ إلا أن الباحث المدقق يدرك أن أهم شيء فعله ذو القرنين لهؤلاء الناس أنه دفعهم للعمل في بناء السد ، وحرر إرادتهم المكبلة بالذلة والخنوع والخوف من همجية يأجوج ومأجوج ، ولعل إيقاظ إرادة هؤلاء الناس ، ودفعهم للعمل كان أقوى وأكثر خطراً من بناء السد وتحصينه !! ومن آثار ذلك : أن ظل يأجوج ومأجوج عاجزين عن تخطي هذا السد المنيع لسببين : أحدهما : قوة السد ، ودقة صنعه .

وثانيهما: أن يأجوج ومأجوج اعتقدوا أن القوم الذين استطاعوا أن يبنوا هذا السد الشامخ بالعمل لن تكون السيطرة عليهم سهلة كما كانت من قبل، فقد استيقظت فيهم الإرادة، وحب العمل، وأي أمة تستيقظ في أبنائها الإرادةُ وحب العمل لابد أن تصبح أمة مهيبة، يفكر العدوّ مرات كثيرة قبل أن يهجم عليها، أو يفرض عليها إرادته. ومن الغريب: أن الأمة الإسلامية تعيش الآن حالة تشبه حالة القوم قبل بناء السد، فأين ذو القرنين يوقظها من عميق سُباتها، ويدفعها للنهوض بالحياة، وعمارتها بالعمل؟!!][1]. إن بناء ذي القرنين السدَّ أو الردم هو رحمة من الله تعالى بالناس ، كل الناس ، إذ جعله سبحانه وقاية لهم من شر يأجوج ومأجوج إلى يوم القيامة ، وبهذا تتجلى لنا ثمرة العمل النافع وقيمته ....

---

(١) العمل العمراني في القرآن الكريم والسنة الشريفة: أ.د/محمدأبوزيدالفقي ص٦٠-٦١بتصرف يسير[حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا-العددالتاسع١٤١٨هـ/١٩٩٨م]وينظر:الدعاة والتخطيط: للأستاذ/ محمد عبداللطيف الخطيب ص٧٤،٧٣، ط٢: القاهرة- دار المنارالحديثة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

الخاتمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله عليه وعلى من والاه أفضل سلام وصلاة ، وبعد ...

فقد خرجت بعون الله تعالى ومدده وفضله من هذه الدراسة بالنتائج والتوصيات الآتية:

أولاً : النتائج :

١ – إن الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه (الإسلام) أشرف عمل على الإطلاق يقوم به مسلم مؤهَّل له ، بدليل أن الله تعالى اختار لها – أي للدعوة – أشرف وأفضل خلقه وصفوتهم ، وهم الأنبياء والرسل – على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام – ، ثم عِلْيَةَ القوم من الملوك المسلمين العالمين العاملين ، فَلْيَقَرَّ الدعاةُ عيناً بالعمل المنوط بهم ، ولْيَقْدرُوْه قَدْرَهُ ، علماً وعملاً ومباهاة في غير كبر ، تحقيقاً لقول الحق سبحانه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] ، ولْيلم المجتمعُ ذلك بشتى الوسائل المشروعة ، حتى توضع الأمور في نصابها ....

٢– إذا كان الله تعالى قد أوجب على الحاكم المسلم الدعوة إليه تعالى وإلى دينه ، بجانب قيامه بأعباء حكم الرعية ، فلتكن الدعوة هي الشغل الشاغل للدعاة ، يتفرغون لها ، ولا يصرفهم عنها صارف ، حيث لم يجعل الله قيام الحاكم بأعباء حكمه للرعية رخصة أو عذراً له لترك الدعوة إذا كان يملك زادها، فكيف بالدعاة وهم متفرغون لها؟!!، ولتكن دعوتهم بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن المُؤسَّسَة على العلم والهدى

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

والبصيرة قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١).

٣- إن الحاكم المسلم إذا لم يكن مُزَوَّداً بما يؤهله للدعوة إلى دين الله تعالى، والاستمساك بتعاليمه فليكن الدعاة محل رعايته بصورة مباشرة، أدبياً، ومادياً، وإعدادا يحقق الكفاية من حيث الكم والكيف، وبما يتناسب مع المترلة التي بَوَّأَهُم الله تعالى إياها....

٤- إن العدل أساس الملك والحب : بمعنى أن العدل سبب رئيس في استمرارية وبقاء صاحبه في الملك مدة طويلة ، وقد قيل : الدولة العادلة تبقى ولو كانت كافرة ، والدولة الظالمة تفنى ولو كانت مسلمة .

فالحاكم إذا التزم تحقيق العدل في رعيته كان ذلك سبيلاً إلى :

أ = تمكينه في الملك ، وإطالة أمده .

ب = وتمكينه في قلوب رعيته حباً وولاء ، ونصرة وطاعة ، وامتثالاً .

فها هو ذا القائد المسلم ذو القرنين ﷺ ، استعمل العدل والرحمة في رعيته ، فكان ــ كما قيل ــ أحد الأربعة الذين ملكوا الدنيا في زمانهم ، وطيلة حياتهم ، مع ما رُزق من العمر المديد .

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

وها هي ذي بَلْقِيس ملكة سبأ ، رغم أنها كانت كافرة ، من عبدة الشمس ، أحبها شعبها وبايعوها على الملك طوال حياتها ، لأنها ما كانت تُقْدِمُ على أمر إلا بعد مشاورتهم ، وموافقتهم .

وقد جاء في القرآن الكريم أن نبي الله سليمان عليه السلام حين بعث إليها بكتاب مع الهدهد ، يدعوها وقومَها فيه إلى الإسلام ، عرضت الأمر أولاً على الملأ منهم، وهم أهل الحل والعقد، وأصحاب الرأي والكلمة في قومها ، يقول الله تعالى حكاية عنها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(١).

والنص الكريم صريح في أنها شاورتهم ، ولما رأوا في مشاورتها إياهم احتراماً لآدميتهم وتقديراً لرأيهم ، ومكانتهم ، فوّضوا إليها الأمر في ذلك ، مرتضين ما تتوصل هي إليه من قرارات ، ولها عليهم المؤازرة والنصرة ، ويتبين من هذا أن الأخذ بمبدأ الشورى من لوازم تحقيق العدل والرحمة بين الرعية ...

---

(١) النمل : ٢٩ – ٣٥ .

جاء في صفوة التفاسير :

[قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ (١) أي أشيروا عليّ في الأمـر ، ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (٢) أي ما كنت لأقضي أمراً بدون حضوركم، ومشورتكم، "قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ" أي نحن أصحاب كثرة في الرجال والعتـاد ، وأصـحاب شدة في الحرب. "وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ " أي وأمرنا إليك، فَمُرينا بما شئتِ نمتثلْ أمرك . وقولهم هذا : دليل على الطاعة المفرطة](٣).

وفي الجامع لأحكام القرآن : [أخذت في حسن الأدب مع قومها ومشاورتهم في أمرها في كل ما يعرض لها ، فراجعها الملأ بما يقر عينَها من إعلامهم إياها بالقوة والبأس ، ثم سلموا الأمر إلى نظرها ، وهذه محاورة حسنة من الجميع] (٤).

٥ – إن السد الذي أقامه ذو القرنين ﷺ حماية للمستضعفين (أهل الشمال) في زمانه من شر يأجوج ومأجوج ليست حمايته مقصورة عليهم ، بل تتعدى إلى كل الخلق ، شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، إلى قيام الساعة .

وهو معلم من معالم رحمة الله تعالى بخلقه، ومظهر من مظاهر لطفه ورعايته، كما يُعد من بركات ذلك الحاكم العادل، والعبد الصالح، والداعية الحكيم ذي القرنين ﷺ ، وصدق الله

---

(١) النمل : من آية : ٣٢ .

(٢) النمل : من آية : ٣٢ .

(٣) صفوة التفاسير : للشيخ / محمد علي الصابوني مج ٢ / ٤٠٨ ، (مرجع سابق) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للإمام / القرطبي : مج ٧ / ٥٠٧٧ باختصار (مرجع سابق).

العظيم إذ يقول على لسانه بعد ما أقامه : ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(١).

ويتفرع من ذلك حكم شرعي هو : ضرورة قيام أولي الأمر في الدولة بحماية الرعية من الأشرار ، عن طريق حجزهم في السجون ، حتى يأمنوا على أنفسهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ، وسائر شئونهم ، ومستقبلهم ، فضلاً عن إقامة الحدود ..

٦ – إن ياجوج ومأجوج قبيلتان لأمة واحدة ، مفسدون في الأرض ، وهم خلق من خلق الله تعالى ، ومن البشر، وعلى صورتهم ، وما ورد في وصفهم بغير ذلك مصدره الأساطير ، والإسرائيليات .

ثانياً : التوصيات :

١ – يجب الاهتمام بالشخصيات التي ذكرها القرآن الكريم، ونَوَّه بشأنها، وتَناوُلها بالدراسة من جوانبها المتعددة بما يحقق الهدف من ذكرها، حيث تحديد مواطن العظات والعبر، والاستفادة بها في حياتنا الخاصة والعامة، واتخاذها قدوة ونبراساً يضيئ لنا الطريق.

٢ – ضرورة سَيْرِ العلماء والدعاة في دعوتهم ووعظهم على منهج القرآن الكريم في القصص ، حيث :

أ – عدم السعي والمحاولة على تعيين أو تحديد الأسماء والأمكنة والأزمنة ، إذا كان لا يتعلق بها هدف في القصة .

---

(١) سورة الكهف : ٩٨ .

ب – التعويل والتركيز على مواضع العظة والعبرة ، لينتفع بها الناس جيلاً بعد جيل ، مع ضرورة عرضها بأسلوب سهل ميسر موجز يستوعبه الناس على تفاوت مستوياتهم ومداركهم ..

٣ – ضرورة تعلم القادة والدعاة ما استطاعوا من اللغات الأخرى ، وذلك لأمرين :

الأول : العلاقات الخارجية التي تربط الدول بعضها ببعض عن طريق المصالح المتبادلة ، بصرف النظر عن اختلاف الديانة .

فالناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدمُ(١).

الثاني: عالمية الإسلام، فإنه يخاطب الناس كل الناس على مختلف أوطانهم ، وأجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ...

فإن لم يتيسر ذلك، فلتكن الترجمة، يقوم بها مترجمون من أهم نعوتهم: الإسلام والثقة، والأمانة، والحذق، والمهارة.

وقد كان من كرامات ذلك القائد والداعية المسلم ذي القرنين ﷺ أن سلحه الله تعالى بلغة كل بلد كان يفتحها على أهلها ، دون تعلم من بشر ، فكان يكلمهم بلسانهم مباشرة ، وقيل : لم يعلمه الله تعالى اللغات ، وكان يستعين بمترجمين لأهل كل بلد على نحو ما مرّ .

٤ – إن الحاكم إذا كان يجمع إلى قيادته وحُكمه مباشرةَ الدعوة إلى الله تعالى يجب أن يكون لديه حظ وافر بقواعدها ، وأصولها ، ووسائلها ، وأساليبها ، وتبصر بأهدافها وغاياتها ، حتى يُكسبه ذلك حكمة يضع بها الترغيب في موضعه ، والترهيب في موضعه ، والحوار والجدال في موضعه ، ويقدم ما حقه التقديم ، ويؤخر ما حقه التأخير ، ومن ثم :

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي ، وهو من بحر البسيط .

تتحصل لديه من مجموع ذلك القدرة على مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، ومداركهم بما يحبون ، فيستجيبون لدعوته عن حب وإكبار، وود واستعظام، ويضاعفُ من استجابتهم له ملكيتُه للسلطة التنفيذية .

وقد كان ذو القرنين ﷺ بملكيته السلطةَ التنفيذية يطبق في قيادته ودعوته مبدأ الثواب والعقاب، حيث مجازاة المحسن على إحسانه، ومعاقبة المسيء على إساءته، دون ظلم أو جور.

٥ – إن الحاكم يجب أن ينظر إلى منصب الولاية أو الرئاسة على أنه تكليف أكثر منه تشريف ، وتقشف أكثر منه ترفُّه ، حتى يبعث ذلك فيه الشعور بأنه لرعيته كالأجير ، والله سائله عما استرعاه، حفظ أم ضيع، ومن ثم: يضع نصب عينيه أن مهامه الأساسية هي الحكم بينهم بما أنزل الله تعالى، وتلبية مطالبهم، وإعطاؤهم حقوقهم كاملة غير منقوصة. وقد تبين من الدراسة مدى ما كان يتمتع به ذو القرنين ﷺ من تحلّ بخلق الزهد والورع، مع ما آتاه الله تعالى من الملك والمال ، مستعملاً كل ذلك في خدمة رعاياه ديناً ودنيا، في حماية الضعفاء والمستضعفين منهم ، احتساباً لله جل وعلا ، وابتغاء لمرضاته(١).

---

(١) ما ذُكِر في المبحث الخامس (سبل الاستفادة من قصة ذي القرنين ...) يصلح أن يكون خاتمة مُطَوَّلة للبحث ، فهو لا يعدو إطار النتائج والتوصيات ، وهذه خاتمة مُصغَّرة .

أهم المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً كتب التفسير :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير	الشيخ العلامة/أبوبكر الجزائري	ط٢ :القاهرة- دار راسم ١٤٠٧ هـ=١٩٨٧م
٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم	الإمام أبو السعود	ط : بيروت – دار الفكر (د.ت)
٣ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	الإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي	ط : القاهرة – مكتبة بن تيمية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
٤ – تفسير التحرير والتنوير	الإمام / محمد الطاهر بن عاشور	ط: تونس– دار سحنون (د.ت)
٥ – تفسير الجلالين	الإمامان/جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي	ط:القاهرة–دارالغد العربي (د.ت)
٦ – تفسير روح البيان	الشيخ / إسماعيل حقي	ط : بيروت – دار إحياء التراث العربي (د.ت)
٧ – تفسير الشعراوي	الإمام / محمد متولي الشعراوي	ط: مصر دار أخبار اليوم (د.ت)
٨ – تفسير القرآن العظيم	الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي	ط : القاهرة – مكتبة دار التراث (د.ت)
٩–التفسير القرآني للقرآن	العلامة / عبد الكريم الخطيب	ط : دار الفكر العربي (د.ت)

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١٠ – التفسير الكبير	الإمام فخرالدين محمد بن عمر ابن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي	ط : بيروت – دار المكتبة العلمية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م
١١ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج	أ.د / وهبة الزحيلي	ط١: بيروت – دارالفكر ١٤١١هـ / ١٩٩١م
١٢ – التفسير الواضح	أ.د/ محمد محمود حجازي	ط١٠:الزقازيق–دارالتفسير للطبع والنشر١٤١٢هـ/١٩٩٢م
١٣– التفسير الوسيط للقرآن الكريم	أ.د/محمد السيد طنطاوي	ط: القاهرة– مطبعة السعادة ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م (بدون رقم الطبعة).
١٤ – تيسيرالكريم الرحمن في تفسيركلام المنان	العلامة/عبدالرحمن ناصر السعدي	ط:الزقازيق– دارالصفا (د.ت)
١٥–الجامع لأحكام القرآن	الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفرج الأنصاري القرطبي	ط١ : القاهرة – دار الغد العربي ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م
١٦–حاشية الشهاب المسماة"عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي	الإمام/ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي	ط : بيروت – دار صادر (د.ت)
١٧ – حاشية القونوي	الإمام / عصام الدين إسماعيل ابن محمد الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي لناصر الدين عبدالله بن عمربن محمد الشيرازي	ط١:بيروت–دارالكتب العلمية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور	الإمام / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي	ط١: بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	الإمام أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي	ط : دار الفكر (د.ت)
٢٠- زاد المسير في علم التفسير	الإمام ابن الجوزي	ط : المكتب الإسلامي(د.ت)
٢١ - زهرة التفاسير	الإمام محمد أبو زهرة	ط١:القاهرة-دارالفكرالعربي (د.ت)
٢٢ - صفوة التفاسير	أ.د / محمد علي الصابوني	ط٤ : بيروت - دار القرآن الكريم ١٤٢٠هـ / ١٩٨١م
٢٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	الإمام / أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي	ط: دار الفكر ١٩٨٣ .
٢٤- محاسن التأويل "تفسير القاسمي"	الإمام / محمد جمال الدين القاسمي	ط : القاهرة - دار إحياء الكتب العربية (د.ت)
٢٥ - النكت والعيون " تفسير الماوردي "	الإمام أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي البصري	ط : بيروت - دار الكتب العلمية (د.ت)
٢٦ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد	الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري	ط١ : بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

ثالثاً : كتب حديثة في التفسير وعلومه :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير	أ.د/ محمد بن محمد أبو شهبة	ط٤ : القاهرة – مكتبة السنة ١٤٠٨هـ
٢ – بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم	دكتور/ موسى إبراهيم الإبراهيم	ط٢ : الأردن – دار عمار ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م
٣ – مباحث في التفسير الموضوعي	أ.د/ مصطفى مسلم	ط٣: دمشق – دار القلم ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

رابعاً : كتب في قصص القرآن :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١- عظات وعبر في قصص القرآن	أ / سعيد عبد العظيم	ط : الإسكندرية – دار الإيمان (د.ت)
٢ – قصص القرآن	أ.د / محمد بكر إسماعيل	ط٢ : القاهرة – دار المنار ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م
٣- قصص القرآن "دروس وعبر للدعوة والدعاة "	الشيخ / محمد بيومي	ط١ : المنصورة – مكتبة الإيمان ٢٠٠٦م
٤- القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف	العلامة الشيخ / محمد محمد المدني	ط: القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (د.ت)

خامساً: كتب في الحديث (المتون) وعلومه:

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١- دلائل النبوة	الإمام / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني ، أبي بكر البيهقي ج٢/ ٢٠ ،	ط١: بيروت، دارالكتب العلمية ١٤٠٥هـ
٢- دلائل النبوة	الإمام / أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق المعروف بأبي نعيم الأصبهاني	ط٢: بيروت ـ دار النفائس ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م
٣ - سنن الترمذي	الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة	ط٢ : القاهرة - البابي الحلبي (د.ت)
٤ - سنن أبي داود	الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي-تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين	ط : بيروت - مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٥ - صحيح البخاري	الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري	ط٢ : بيروت - المكتبة العصرية ١٤١٨هـ / ١٩٧٧م
٦ - صحيح مسلم	الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري	ط : القاهرة - دار إحياء الكتب العربية (د.ت)
٧- الفردوس بمأثور الخطاب المعروف بـ (مسند الفردوس)	للإمام / شِيرَوَيْه بن شَهردار بن شيرويه أبي شجاع الديلمي	ط١ : بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م
٨- المستدرك على الصحيحين في الحديث	الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم النيسابوري	ط : بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١١هـ/١٩٩٠م
٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل	الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين	ط١ : بيروت - مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١٠ – المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة	الإمام الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي	ط ١ : بيروت – دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
١١ – كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس	الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي	ط٣ : بيروت – دار الكتب العلمية ٤٠٨هـ/١٩٨٨م

سادساً : كتب في شروح الحديث وعلومه :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١– السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي	أ.د/ مصطفى السباعي	ط٤ :بيروت–المكتب الإسلامي ١٩٨٥م
٢ – شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن	الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي	ط١ : مكة المكرمة – المكتبة الشامية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م
٣– تيسير صحيح البخاري	الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين	ط١ : القاهرة ــ مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م
٤– فتح المنعم شرح صحيح مسلم	الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين	ط١ : القاهرة ــ مكتبة الشروق ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .
٥–صحيح مسلم بشرح النووي	الإمام أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي	ط١ :القاهرة– دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
٦– فتح الباري بشرح صحيح البخاري	الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	ط١: القاهرة – دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٩٦م

سابعاً : الدعوة والثقافة الإسلامية :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١ – أصول الدعوة	أ.د/ عبد الكريم زيدان	ط٣ : المنصورة – دار الوفاء ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م
٢ – خلق المسلم	الشيخ / محمد الغزالي	ط : القاهرة – نهضة مصر (د.ت)
٣ – الدعاة والتخطيط	الشيخ / محمد عبد الله الخطيب	ط٢ : القاهرة – دار المنار الحديثة١٤١٢هـ / ١٩٩١م
٤ – الدعوة إلى سبيل الله "أصولها وميادينها"	أ.د / عبد الخالق إبراهيم إسماعيل	ط١: القاهرة- مطبعة الأمانة ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م
٥ – الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل عليه السلام	د / محمد بن سيدي بن الحبيب	ط١ : جدة ـ دار الوفاء للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م
٦ – الدعوة إلى الإصلاح	الشيخ / محمد الخضر حسين	ط: القاهرة ـ المطبعة السلفية ـ ١٣٤٦ هـ
٧ – الدعوة الإسلامية في العهد المكي	أ.د / إبراهيم عبد الرحمن عتلم	ط١ : القاهرة ـ دار الطباعة المحمدية ١٤١٢هـ – ١٩٩١م
٨ – ذو القرنين	الشيخ / محمد أحمد برانق	ط١١ :مصر– دارالمعارف (د.ت)
٩ – ذو القرنين	الأستاذ / محمد عبده	ط١ :المنصورة – مكتبة الإيمان ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م
١٠ – الرسول المعلم وأساليبه في التعليم	الشيخ / عبد الفتاح أبو غدة	ط٣: بيروت – دار البشارة الإسلامية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
١١ – ضوابط العمل الدعوى فى مجالات الموعظة- المجادلة-الحكم على الآخرين	أ.د حسين مجد خطاب	القاهرة – مطبعة الفجر الجديد ١٤٣٦ هـ ٢٠١٤ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١٢ – العمل العمراني في القرآن الكريم والسنة الشريفة	أ.د / محمد أبو زيد الفقي	[حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا – العدد التاسع – ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م]
١٣ – فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم	أ.د / علي محمد الصلابي	ط١: القاهرة – دار ابن الجوزي١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م
١٤ – مدرسة الدعاة	الشيخ / عبد الله ناصح علوان	ط١ : القاهرة – دار السلام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م
١٥– وسائل الدعوة	أ.د / سعيد محمد الصاوي	ط٤ : ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م (بدون مكان الطبع)
١٦– يأجوج ومأجوج ودَكُّ السد :	الأستاذ/جابر عبد الرحمن علي	ط٤: القاهرة ــ دار الصفوة.

ثامناً: كتب في النظم الإسلامية (النظام السياسي):

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١ – البيعة في النظام السياسي الإسلامي	دكتور / أحمد صديق عبد الرحمن	ط١ : القاهرة – مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م
٢ – الحكم والتحاكم في خطاب الوحي	دكتور/عبدالعزيز مصطفى كامل	ط١:دارطيبة١٤١٥هـ/١٩٩٥م
٣ – فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية	أ.د/ عبد الرزاق أحمد السنهوري – ترجمة : دكتورة نادية عبد الرزاق السنهوري	ط٣:الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م

تاسعاً : كتب في التراجم والأعلام :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب	المؤرخ :أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي	ط١: بيروت – دار الكتب العلمية١٤١٥هـ / ١٩٩٥م
٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة	المؤرخ:عزالدين بن الأثير أبوالحسن علي بن محمد الجزري	ط:القاهرة– دارالشعب (د.ت)
٣ – الإصابة في تمييز الصحابة	الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	ط١ : القاهرة – مركز هجر للبحوث ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
٤ – الأعلام	المؤرخ : خير الدين الزركلي	ط٦:بيروت–دارالعلم للملايين ١٩٨٤م
٥ – أعلام المحدثين	أ.د/ محمد محمد أبو شهبة	ط : ١٩٦٣م (د. م)
٦ – تقريب التهذيب	الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني	ط٢ : بيروت – دار المعرفة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م
٧ – تكملة معجم المؤلفين	الأستاذ / محمد خير رمضان يوسف	ط : بيروت – دار ابن حزم ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م
٨ – سير أعلام النبلاء	الإمام شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي	ط١٠ : بيروت – مؤسسة الرسالة١٤١٤هـ /١٩٩٤م
٩ – معجم المؤلفين	الأستاذ/ عمر رضا كحالة	ط : بيروت – دار إحياء التراث العربي (د.ت)
١٠– معجم مصنفي الكتب العربية.	الأستاذ عمر رضا كحالة	ط: بيروت–مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
١١– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	المؤرخ: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان.	ط : بيروت – دار صادر (د.ت)

عاشراً : كتب في مناهج البحث العلمي :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١- البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية)	أ . د / سعد الدين صالح	ط٢:جدة- مكتبة الصحابة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م
٢- أصول البحث	أ د / عبد الهادي الفضلي	ط:إيران-دارالكتاب الإسلامي-د.ت).
٣- مناهج البحث العلمي وضوابطه فى الإسلام	أ د / حلمي عبد المنعم صابر	ط:رابطة العالم الإسلامي-مكة المكرمة السنة ١٦ العدد [١٨٣] ١٤١٨هـ .
٤- مناهج البحث العلمي	أ د / عبد الرحمن بدوى .	ط ٣ : الكويت - وكالة المطبوعات سنة ١٩٧٧ م .
٥- مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة	أ.د/فرج‌الله عبدالباري أبو عطاالله .	ط١٤٢٣:١هـ-٢٠٠٢م. (د.م)

الحادي عشر: المعاجم العربية :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
١ - أساس البلاغة	الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: أ / عبد الرحيم محمود	ط : بيروت - دار المعرفة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
٢- تاج العروس من جواهر القاموس	العلامة: محمد مرتضى الزبيدي	ط١:بيروت- منشورات مكتبة الحياة ١٣٠٦هـ
٣-الصحاح في اللغة والعلوم	العلامة : الجوهري	ط:بيروت-دارالحضارة العربية (د.ت)
٤ - مجمل اللغة	العلامة : أبو الحسن أحمد ابن فارس بن زكريا اللغوي	ط١:بيروت-مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	بيانات الطبع والنشر
٥ – معجم متن اللغة	الشيخ / أحمد رضا	ط : بيروت – دار مكتبة الحياة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م
٦ – المعجم الفلسفي	د / جميل صليبا	ط : بيروت – دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م
٧ – المعجم الفلسفي	نخبة من أعضاء مجمع اللغة العربية	ط : القاهرة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
٨– معجم المصطلحات الصوفية	د/ عبد المنعم الحفني	ط : بيروت – دار السيرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
٩ – المعجم الوسيط	نخبة من أعضاء مجمع اللغة العربية	ط٣:القاهرة–مجمع اللغة العربية (د.ت)
١٠–المنجم في الألفاظ النحوية	أ / المهدي محمد الحلي	ط:طرابلس– مجلس الثقافة العام (د.ت)
١١ – لسان العرب	الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري	ط : مصر – دار المعارف (د.ت)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٨٨
أهمية الموضوع	١٩١
أسباب اختيار الموضوع	١٩١
الدراسات السابقة	١٩٢
صعوبة البحث	١٩٣
منهج البحث	١٩٤
خطة البحث	١٩٨
تمهيد : التعريف بمفردات عنوان البحث	٢٠٠
المبحث الأول: التعريف بذي القرنين ﷺ من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية	٢١٦
المبحث الثاني: معالم الدعوة، والقيادة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية .	٢٣٢
المطلب الأول: معالم الدعوة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية.	٢٣٢
المطلب الثاني: معالم القيادة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المغرب من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية.	٢٤٥
المبحث الثالث: معالم الدعوة، والقيادة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل المطلع (أهل المشرق) من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية	٢٥٩
المبحث الرابع: معالم الدعوة، والقيادة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية .	٢٧١

الموضـــوع	الصفحة
المطلب الأول: معالم الدعوة في شخصية ذي القرنين ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية .	٢٧١
المطلب الثاني: التأصيل لضرورة تعلم القادة والدعاة بعض اللغات الأجنبية من خلال قصة "ذي القرنين"ﷺ	٢٧٩
المطلب الثالث: معالم القيادة في شخصية "ذي القرنين"ﷺ لأهل الشمال من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية.	٢٨٩
إعجاز علمي للقرآن الكريم .	٢٩٨
تَهَدُّمُ السَّدِّ وخروجُ يأجوج ومأجوج من العلامات الكبرى لقيام الساعة.	٢٩٩
سؤال يطرح نفسه: إذا كان السد موجوداً فأين هو؟، وأين هم يأجوج ومأجوج ؟.	٣٠٥
ما يستفاد من بناء السد .	٣٠٨
كيف تعامل ذو القرنين ﷺ مع يأجوج ومأجوج ؟	٣١٠
المبحث الخامس: سبل الاستفادة من قصة ذي القرنين ﷺ للقادة والدعاة، والرعيـــة في العصر الحاضر.	٣١٣
الخاتمة .	٣٣٧
فهرس المراجع.	٣٤٤
فهرس الموضوعات.	٣٥٥